الفصل الثالث:
[غزوة أحد سنة ٣ هـ]

غزوة أحد سنة ٣ هـ:

سبب المعركة:

يرجع وقوع هذه الغزوة إلى جملة من الأسباب المتداخلة، أبرزها رغبة قريش في الانتقام من المسلمين لقتلاها يوم بدر حيث كانت قد فقدت صناديد رجالها ولحق بها عار الهزيمة المنكرة إضافة إلى ما فقدته من أموالها التي غنمت، ومكانتها التي تهاوت وسمعتها التي مرغت في الوحل. يضاف إلى ذلك ما كان يشعر به زعماء قريش من أخطار تهددهم وتجارتهم التي كادت أن تتوقف مع بلاد الشام بعد أن تحكم المسلمون في كافة طرق التجارة الداخلية والساحلية، وخاصة بعد أن فقدوا أملهم الأخير في سلوك طريق العراق، وما جرى في سريّة القردة حين غنم المسلمون تجارتهم وعيرهم وقطعوا عليهم آخر طريق كانوا يؤملونه لاستمرار سير تجارتهم. وهذا ما زاد النار إذكاء في قلوب قريش، وزودها من الحزن والهم ما لا يقادر قدره، وحينئذ زادت سرعة قريش في استعدادها للخوض في معركة تفصل بينهم وبين المسلمين.

هذا إلى جانب تعنت قريش وإصرارها على دين الآباء والأجداد ومقاومتها التوحيد، وحقدها التاريخي على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمسلمين الذين أفلتوا من قبضتها، فأصبحوا لها ندّا يناصبونها العداء ويقطعون عليها سبل حياتها.

وكانت استعدادات قريش لحرب المسلمين قد بدأت مبكرة في أعقاب هزيمتها في بدر، فقد رصدوا أموال تجارتهم التي تمكن أبو سفيان من الإفلات بها قبيل معركة بدر مع أرباحها لتجهيز جيش الثأر وقالوا للذين كانت فيها أموالهم: يا معشر قريش، إن محمداً قد وَتَرَكُم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه؛ لعلنا أن ندرك منه ثأراً، فأجابوا لذلك، فباعوها، وكانت ألف بعير، والمال خمسين ألف دينار، وفي ذلك أنزل الله تعالي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] (١)، ثم فتحوا باب التطوع لكل من أحب المساهمة في غزو المسلمين من الأحابيش

(١) ابن هشام، السيرة، ٣/ ١، الواقدي، المغازي، ١/ ٢٠٠، ابن إسحاق، السيرة، ص٣٢٢.

وكنانة وأهل تهامة، واتبعوا وسائل عدة في التحريض والحض علي مقاتلة المسلمين، حتى إن صفوان بن أمية أغري أبا عزة الشاعر - الذي كان قد أسر في بدر، فَمَنَّ عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأطلق سراحه بغير فدية، وأخذ منه العهد بألا يقوم ضده - أغراه على أن يقوم بتحريض القبائل ضد المسلمين، وعاهده أنه إن رجع عن الغزوة حياً يغنيه، وإلا يكفل بناته، فقام أبو عزة بتحريض القبائل بأشعاره التي كانت تذكي حفائظهم، كما اختاروا عمرو بن العاص، وهبيرة المخزومي، وابن الزبعرى لنفس المهمة، وقد حقق هذا التحريض نتائج كبيرة حيث تسابق القرشيون علي المشاركة في دفع نفقات المعركة التي بلغت خمسين ألف دينار ذهباً، وجمعوا ثلاثة آلاف مقاتل من أبنائها وحلفائها من كنانة وأهل تهامة، [١]، بينهم مائتا فارس وسبعمائة دارع [٢]، وجعلت على قيادة الميمنة خالد بن الوليد، وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل [٣]، وصاحب الجيش عدد من نساء قريش لغرض إثارة الحماس ومنع المقاتلين من التفكير بالفرار خشية العار، فخرج أبو سفيان - وأشد تأليباً على المسلمين بعدما رجع من غزوة السَّوِيق خائباً لم ينل ما في نفسه - وهو قائد الناس بهند ابنة عتبة بن ربيعة، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة ابنة مسعود الثقية، وخرج عكرمة بن أبي جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة... وتحرك الجيش المكي بعد هذا الإعداد التام نحو المدينة، وقلوبهم يملأها الحقد علي المسلمين والرغبة في الثأر منهم، ونزلوا ببطن السبخة من قناة، على شفير الوادي مما يلي المدينة [٤].

استطلاع أخبار قريش:

وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع أخبار قريش بدقه بواسطة عمه العباس، قال ابن عبدالبر: (وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب بأخبار المشركين إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان المسلمون يتقوّوْن به بمكة، وكان يحب أن يقدم على رسول الله فكتب إليه

(١) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٨٤، الواقدي، المغازي، ١/ ١٠١، أبو فارس، غزوة أحد، ص١٧.
(٢) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٨٧، الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٠٢ من رواية الواقدي.
(٣) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٨ - ١٢، الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٠٤.
(٤) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٨٧ برواية ابن إسحاق دون إسناد، الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٠٤، الواقدي، المغازي، ١/ ٢٠١، ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٣٧.

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن مقامك في مكة خير) [1] ، فلما تحرك هذا الجيش بعث العباس رسالة مستعجلة إلى الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ضمنها جميع تفاصيل الجيش ، وأسرع رسول العباس بإبلاغ الرسالة ، وجدّ في السير حتى إنه قطع الطريق بين مكة والمدينة - التي تبلغ مساحتها إلى خمسمائة كيلومتراً - في ثلاثة أيام وسلم الرسالة إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في مسجد قباء [2] ، وجاء في رسالته: (إن قريش قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلّوا بك فاصنعه ، وقد توجهوا إليك وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة دارع وثلاثة آلاف بعير وأوعبوا [3] من السلاح) [4] .

وتأكيداً للخبر أرسل الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحُباب بن المنذر بن الجموح إلى قريش يستطلع الخبر ، فدخل بين جيش مكة وحزر عَدَده وعُدَدَه ورجع ، فسأله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مارأيت؟ قال: رأيت يارسول الله عدداً ، حزرتهم ثلاثة آلاف يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، والخيل مائتي فرس ، ورأيت دروعاً ظاهرة حزرتها سبعمائة درع ، قال: (هل رأيت ظعنا؟) قال: رأيت النساء معهن الدفاف والأكبار [5] . . . فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أرَدْن أن يحرِّضنّ القوم ويذكرونهم قتلى بدر ، هكذا جاءني خبرهم لاتذكر من شأنهم حرفاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أجول وبك أصول) [6] .

مشاورات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه في أمر القتال:

ولما تيقن الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الخبر ، شاور أصحابه في كيفية مواجهة الموقف ، وحيث إن المدينة كانت قد شبكت بالبنيان فهي كالحصن ، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرى البقاء والتحصّن فيها ، وقال: «إنّا في جنّة حصينة» [7] ،

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ٢/ ٨١٢ .

(٢) المباركفوري ، الرحيق المختوم ، ص٢٥٠ .

(٣) أوعبوا: خرجوا بجميع ماعندهم من السلاح .

(٤) الواقدي ، المغازي ، ١/ ٢٠٤ .

(٥) الأكبار: جمع كَبَر: والكَبَر ، هو: الطبل الذي له وجه واحد وهو فارس معرب .

(٦) الواقدي ، المغازي ، ١/ ٢٠٧ - ٢٠٨ .

(٧) أحمد ، المسند ، ٣/ ٣٥١ ، الفتح الرباني ٢١/ ٥١ - ٥٢ ، الطبري - تفسير ٧/ ٣٧٢ بإسناد حسن إلى قتادة ، وقد جاء بطرق عديدة وبمجموع الطرق يصح الحديث ، وانظر: البيهقي - دلائل النبوة ٣/ ٢٠٤ ، ٣٠٨ ، الصنعاني - المصنف ٥/ ٣٦٤ - ٦٥ ، الحاكم - المستدرك ٢/ ١٢٨ - ١٢٩ ، ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ابن سعد - الطبقات ٢/ ٣٨ .

فإن رأيتم أن تقيموا وتدعوهم حيث نزلوا، فإن أقاموا أقاموا بشر مقام، وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها. وكان رأي عبدالله بن أبي بن سلول مع رأي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد أبدى بعض أصحابه من الأنصار - ممن كان فاته بدر - كراهة القتال في طرق المدينة وقالوا: «**وقد كنا نمتنع من الغزو في الجاهلية، فبالإسلام أحق أن نمتنع منه، فابرز إلى القوم**» (١).

انطلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلبس لامته. وتلاوم القوم وقالوا: «عرض نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأمر وعرّضتم بغيره، فاذهب يا حمزة فقل لنبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمرنا لأمرك تبع». فأتى حمزة فقال له: «يا رسول الله إن القوم قد تلاوموا فقالوا: أمرنا لأمرك تبع»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّه ليس لنبيّ إذا لبس لامته أن يضعها حتّى يناجز**» (٢).

ما من شك أن رأي الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان هو الأصوب، إلا أن الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد أن يؤصل مبدأ الشوري ويضرب لنا المثل والقدوة من نفسه كقائد للمسلمين، وامتثالاً لأمر الله عز وجل حينما قال: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران، آية: ١٥٩]. وهذا الموقف يثبت أن الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد عوّد أصحابه على التصريح بآرائهم عند مشاورته لهم حتى ولو خالفت رأيه، فهو إنما يشاورهم فيما لانص فيه تعويداً لهم على التفكير في الأمور العامة ومعالجة مشاكل الأمة، فلا فائدة من المشورة إذا لم تقترن بحرية إبداء الرأي، ولم يحدث أن لام الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحداً لأنه أخطأ في اجتهاده ولم يوفق في رأيه، وكذلك فإن الأخذ بالشورى ملزم للإمام، فلابد أن يطبق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التوجيه القرآني لتعتاد على ممارسة الشورى وهنا يظهر الوعي السياسي عند الصحابة رضوان الله عليهم، فرغم أن لهم إبداء الرأي إلا أنه ليس لهم فرصة على القائد فحسبهم أن يبينوا رأيهم ويتركوا للقائد حرية اختيار مايترجح لديه من الآراء فلما رأوا أنهم ألحوا في الخروج وأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عزم على الخروج بسبب إلحاحهم عادوا فاعتذروا إليه، لكن الرسول الكريم علمهم درساً آخر هو من صفات القيادة الناجحة وهو عدم التردد

(١) الطبري، تفسير ٧/ ٣٧٢.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٧١.

بعد العزيمة والشروع في التنفيذ، فإن ذلك يزعزع الثقة بها ويغرس الفوضى بين الأتباع[1].

لبس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ درعين، رغم علمه بأن الله تعالى يعصمه من القتل تعويدا للأمة على الأخذ بالأسباب المادية ثم التوكل على الله[2]. وعقد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ راية سوداء وثلاثة ألوية أحدها للمهاجرين والثاني للأوس من الأنصار والثالث للخزرج منهم، وحمل مصعب بن عمير لواء المهاجرين، وأسيد بن حضير لواء الأوس، والحباب بن المنذر لواء الخزرج[3].

وانتظمت قوات المسلمين التي قدرت بألف مقاتل بما فيهم المنافقون المتظاهرون بالإسلام ومعهم فرسان فقط ومائة دارع تحت قيادة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتحركت تاركة المدينة من الجانب الغربي من الحرة الشرقية[4].

انسحاب المنافقين من جيش المسلمين:

وقد انسحب من جيش المسلمين المنافق عبد الله بن أبيّ بن سلول وثلاثمائة من أتباعه المنافقين، بدعوى أنه لن يقع قتال مع المشركين، ومعترضا على قرار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخروج من المدينة لملاقاة المشركين بقوله: «أطاع الولدان ومن لا رأي له، أطاعهم وعصاني، علام نقتل أنفسنا»[5].

وعمل عبد الله بن أبي هذا ينطوي على خيانة عظيمة، وبغض للإسلام والمسلمين، وقد اقتضت حكمة الله أن يمحص الله الجيش ليظهر الخبيث من الطيب حتى لايختلط المخلص بالمغرض، والمؤمن بالمنافق، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فالجبن والنكوص هما اللذان كشفا عن طوية المنافقين فافتضحوا أمام أنفسهم

---

(١) السيرة النبوية الصحيحة، ٢/ ٣٨٠.

(٢) الحاكم، المستدرك، ٣/ ٢٥.

(٣) خليفة بن خياط، تاريخ، ص ٦٧، الواقدي، المغازي، ١/ ٣٣، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ٥٤٠.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٨ - ١٢.

(٥) البخاري، الصحيح (حديث ٤٠٥٠)، ابن هشام، السيرة، ٢/ ٩٢، الواقدي، المغازي، ١/ ٢١٩، ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٣٩، البيهقي، دلائل، ٣/ ٢٠٨.

وأمام الناس قبل أن يفضحهم القرآن[١] .

وقد انقسم الصحابة في مسألة قتال هؤلاء المنافقين ، ففريق يرى قتل المنافقين الذين خذلوا المسلمين بعودتهم وانشقاقهم عن الجيش ، وفريق لايرى قتلهم [٢] ، فأنزل الله تعالى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ واللهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٨٨] .

وقد حاول الصحابي عبد الله بن عمرو بن حرام تدارك الأمر فلحق بالمنافقين المنسحبين ، وحاول إقناعهم بضرورة نصرة نبيهم وقومهم ، غير أنهم أصروا على موقفهم ، وقالوا له: «لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم» ، وبعد أن يئس عبد الله منهم سأل الله أن يبعدهم ، وأن يغني الله نبيه عنهم [٣] ، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ واللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٦ - ١٦٧] .

وكاد بنو سلمة من الخزرج ، وبنو حارثة من الأوس ، وهما طائفتان من المسلمين ، ورفضا أن يتخاذلا وينسحبا مع المنافقين ، وفكروا جديّا في التراجع إلى المدينة ، لولا أن الله تعالى أنقذهم وثبّت قلوبهم مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع إخوانهم المؤمنين [٤] ، وفيهم قال تعالى: ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا واللهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٢٢] .

ولما عسكر الجيش الإسلامي في منطقة الشيخين رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتيبة لها صوت وجلبة فقال: ماهذه؟ فقالوا: هؤلاء حلفاء عبدالله بن سلول بن أبي من يهود فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا نستنصر بأهل الشرك على أهل الشرك[٥] وهذا أصل وضعه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدم الركون إلى أعداء الإسلام

(١) محمد عيظة بن سعيد ، غزوة أحد دراسة دعوية ، ص٨٤ ، حسين أحمد ، مرويات غزوة أحد ، ص٧١ .

(٢) البخاري ، الصحيح (فتح حديث ٤٠٥٠) ، الطبري ، تفسير ، ٩/ ٧ - ٩ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ٣/ ٩ .

(٤) البخاري ، الصحيح (حديث ٤٠٥١) ، مسلم ، الصحيح ، ٤/ ١٩٤٨ (حديث ٢٥٠٥) ، ابن هشام ، السيرة ، ٣/ ١٥٤ ، الطبري ، تفسير ، ٧/ ١٦٦ ، البيهقي ، دلائل النبوة ، ٣/ ٢٢٠ - ٢٢ .

(٥) صحيح السيرة النبوية ، ص٢٧٨ .

في الاستنصار بهم[١].

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعرض جيش المدينة:

ثم استعرض الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المتطوعين من صغار السن فرد منهم أربعة عشر صبيًا منهم عبدالله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وزيد بن ارقم، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدري، وأجاز منهم رافع بن خديج لما قيل له: إنه رام، فبلغ ذلك سمرة بن جندب، فذهب إلى زوج أمه مرّي بن سنان بن ثعلبة يبكي وقال له: ياأبت أجاز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رافعاً وردني، وأنا أصرع رافعاً، فرجع زوج أمه ذلك إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتفت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى رافع وسمرة فقال لهما تصارعا، فصرع سمرة رافعاً فأجازه كما أجاز رافعاً[٢]، ثم تقدم الجيش بعد ذلك إلى ميدان أحد حيث اتخذ مواقعه وفق الخطة المحكمة التي وضعها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقد نظّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صفوف جيشه وصفّهم على هيئة صفوف الصلاة، وجعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يمشي على رجليه يُسوي تلك الصفوف، ويبوئ أصحابه للقتال يقول: تقدم يافلان، وتأخر يافلان، فهو يقوّمهم . . . ، حتى استوت الصفوف)[٣]، وبذلك وضع الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مقدمة الصفوف الأشداء؛ لكي يفتحوا الطريق لمن خلفهم، وقد أخذ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا الاسلوب لأنه أبلغ في قتال الأعداء[٤].

ثم إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمى ظهر المسلمين بالجبل وهم يستقبلون عدوهم (فجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وقال: (لا يقاتلن أحد حتى نأمره بالقتال)[٥].

وجعل خمسين من الرماة بقيادة عبد الله بن جبير فوق تل عينين المقابل لجبل أحد بقصد منع المشركين من تطويق المسلمين، وأمر الرماة بالثبات في مواقعهم مهما حصل، وقال لهم: «**إن رأيتمونا تخطّفنا الطّير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتّى أرسل لكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم وأوطأناهم فلا تبرحوا مكانكم**»[٦].

---

(١) محمد عرجون، محمد رسول الله، ٣/ ٥٦١.
(٢) البخاري، فتح الباري، ٥/ ٢٧٦، مسلم الصحيح، ٢/ ١٤٢.
(٣) الواقدي، المغازي، ١/ ٢١٩.
(٤) محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، ص٣٥٥، ٣٥٦.
(٥) البخاري، الصحيح (حديث ٣٠٣٩)، أحمد، المسند، ٤/ ٢٠٩، تاريخ الطبري، ٢/ ٥٠٧.
(٦) البخاري، الصحيح، فتح الباري، ٦/ ١٦٢، حديث ٣٠٣٩، أحمد، المسند، ٤/ ٢٠٩،

وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للجيش: «**لاتبرحوا حتى أوذنكم**» وقال: «**لا يقاتلن أحد حتى آمره بالقتال**»، وقال لأمير الرماة: «**انضح الخيل عنا بالنبل لايأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا. وقال للرماة: الزموا مكانكم لا تبرحوا منه، فإذا رأيتمونا نهزمهم حتى ندخل عسكرهم فلا تفارقوا مكانكم، وإن رأيتمونا نقتل فلا تغيثونا ولا تدفعوا عنا وارشقوهم بالنبل فإن الخيل لاتقدّم على النبل، إنا لن نزال غالبين مامكثتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم**»[(١)].

وهكذا فقد سيطر المسلمون على المرتفعات تاركين الوادي لجيش المشركين[(٢)].

وحرض أصحابه على القتال، وحضهم على المصابرة والجلاد عند اللقاء، وأخذ ينفث روح الحماسة والبسالة في أصحابه حتى جرد سيفاً باتراً ونادي أصحابه: (من يأخذ مني هذا؟) فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا أنا قال: (فمن يأخذه بحقه) قال: فأحجم القوم، فقال: سماك بن خرشة أبو دجانة، وماحقه يارسول الله؟ قال: أن تضرب به العدو حتى ينحني، قال: أنا آخذه بحقه. فدفعه إليه وكان رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب - اي يمشي مشية المتكبر - وحين رآه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبختر بين الصفين قال: (إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن)[(٣)].

قريش تشحذ هممها:

أما المشركون فعبؤوا جيشهم حسب نظام الصفوف، فكانت القيادة العامة إلى أبي سفيان صخر بن حرب الذي تمركز في قلب الجيش، وجعلوا على الميمنة خالد بن الوليد - وكان إذ ذاك مشركاً - وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، وعلى المشاة صفوان ابن أمية، وعلى رماة النبل عبد الله بن أبي ربيعة.

أما اللواء فكان إلى مفرزة من بني عبد الدار، وقد كان ذلك منصبهم منذ أن اقتسمت بنو عبد مناف المناصب التي ورثوها من قصي بن كلاب - كما أسلفنا في

الحاكم، المستدرك، ٢/ ٢٩٦، الواقدي، المغازي، ١/ ٢١٩ - ٢٢٠، ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٣٩ - ٤٠.

(١) السيرة الحلبية، ٢/ ٤٩٦.

(٢) البخاري، الصحيح، فتح ٦/ ١٦٢، حديث ٣٠٣٩.

(٣) مسلم، كتاب فضائل الصحابة رقم ٢٤٧٠.

أوائل الكتاب - وكان لا يمكن لأحد أن ينازعهم في ذلك ؛ تقيداً بالتقاليد التي ورثوها كابراً عن كابر ، بيد أن القائد العام - أبا سفيان - ذكرهم بما أصاب قريشاً يوم بدر حين أسر حامل لوائهم النضر بن الحارث ، وقال لهم - ليستفز غضبهم ويثير حميتهم: يا بني عبد الدار ، قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يؤتي الناس من قبل راياتهم ، وإذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه .

ونجح أبو سفيان في هدفه ، فقد غضب بنو عبد الدار لقول أبي سفيان أشد الغضب ، وهموا به وتواعدوه وقالوا له: نحن نسلم إليك لواءنا؟ ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع . وقد ثبتوا عند احتدام المعركة حتى أبيدوا عن بكرة أبيهم .

وعقب ابن كثير علي ذلك الموقف بقوله: وذلك الذي أراد أبو سفيان[1] .

وقامت نسوة قريش بنصيبهن من بث الحماس في نفوس قريش ، تقودهن هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان ، فكن يتجولن في الصفوف ، ويضربن بالدفوف ؛ يستنهضن الرجال ، ويحرضن على القتال ، ويثرن حفائظ الأبطال ، ويحركن مشاعر أهل الطعان والضراب والنضال ، فتارة يخاطبن أهل اللواء فيقلن:

وَيْهاً بني عبد الدار ::: ويها حُمَاة الأدبار

ضرباً بكل بتار

وتارة يأززن قومهن على القتال وينشدن:

إن تُقْبلُوا نُعَانِق ::: ونَفْرِشُ النمارق

أو تُدْبِرُوا نُفَارِق ::: فراق غير وَامِق[2]

قبيل المعركة :

وقبيل بدأ المعركة حاول أبو سفيان أن يحدث شرخاً وتصدعاً في جبهة المسلمين المتماسكة ، فأرسل إلى الأنصار يقول: (خلو بيننا وبين ابن عمنا ، فننصرف عنكم ، فلا حاجة بنا إلى قتال) فردوا عليه بما يكره[3] .

ولما فشلت المحاولة الاولى لجأت قريش إلى محاولة اخرى عن طريق رجل من أهل المدينة ، وهو أبو عامر الراهب - وكان يعد قريشا أن لو قد لقي قومه لم

(١) البداية والنهاية ، ٤/ ١٨ .
(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ١٨ .
(٣) المقريزي ، إمتاع الأسماع ، ١/ ١٢٠ .

يختلف عليه منهم رجلان - حيث حاول أبو عامر الراهب [١] أن يصد بعض الأنصار عن القتال، فقال: يامعشر الأوس، أنا أبو عامر، قالوا: فلا أنعم الله بك عينا يافاسق فلما سمع ردهم عليه قال: لقد أصاب قومي بعدي شر، ثم قاتلهم قتالاً شديداً، ورماهم بالحجارة[٢].

بداية المعركة:

وتقارب الجمعان وتدانت الفئتان، وآنت مرحلة القتال، وكان أول وقود المعركة حامل لواء المشركين طلحة بن أبي طلحة العبدري، وكان من أشجع فرسان قريش، يسميه المسلمون كبش الكتيبة. خرج وهو راكب على جمل يدعو إلى المبارزة، فأحجم عنه الناس لفرط شجاعته، يقول صاحب السيرة الحلبية: خرج طلحة بن عثمان وكان بيده لواء المشركين وطلب المبارزة مراراً فلم يخرج إليه أحد فقال: ياأصحاب محمد إنكم تزعمون أن الله تعالى يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة، فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار أو أعجله بسيفي إلى الجنة؟ فخرج إليه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلى النار أو يعجلني بسيفك إلى الجنة، فضربه علي فقطع رجله، فوقع على الأرض فانكشفت عورته، فقال: يابن عمي، أنشدك الله والرحم فرجع عنه ولم يجهزعليه، فكبر رسول الله، وقال لعلي بعض أصحابه أفلا أجهزت عليه؟ قال: إن ابن عمي ناشدني الرحم حين انكشفت عورته فاستحييت منه[٣].

ثم اندلعت نيران المعركة، واشتد القتال بين الفريقين، وبعد قتل طلحة بن أبي طلحة تعاقب بنو عبد الدار حمل اللواء، فحمله أخوه أبو شيبة عثمان بن أبي

---

(١) كان قد تنصر في الجاهلية وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مهاجراً إلى المدينة واجتمع المسلمون عليه وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر بارز أبو عامر بالعداوة وظاهر بها وخرج فاراً إلى كفار مكة من مشركي قريش يمالئهم على حرب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاجتمعوا بمن وافقهم في أحياء العرب فكان من أمر المسلمين ماكان وامتحنهم الله عزوجل، وكانت العاقبة للمتقين وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين فوقع في إحداهن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصيب ذلك اليوم فجرح وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه. تفسيرابن كثير، ٢/ ٣٨٨.

(٢) أبو شهبة، السيرة النبوية ٢/ ١٩٢.

(٣) السيرة الحلبية، ٢/ ٤٩٧، ٤٩٨؛ تفسير الطبري، ٧/ ٢١٨.

طلحة ، وتقدم للقتال وهو يقول:

إنَّ علـــى أهْـــل اللـــوَاء حقـــاً ::: أن تُخْـــضَبَ الـــصَّعْدَة أو تَـــنْدَقَّا

فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب فضربه على عاتقه ضربة بترت يده مع كتفه ، حتى وصلت إلى سرته ، فبانت رئته [1] .

ثم رفع اللواء أبو سعد بن أبي طلحة ، فقال سعد بن أبي وقاص: رميته فأصبت حنجرته ، فاندلع لسانه اندلاع لسان الكلب وقيل: بل خرج أبو سعد يدعو إلى البراز ، فتقدم إليه على بن أبي طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على فقتله [2] .

ثم رفع اللواء مُسَافع بن طلحة بن أبي طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفْلَح بسهم فقتله ، فحمل اللواء بعده أخوه كِلاَب بن طلحة بن أبي طلحة ، فانقض عليه الزبير بن العوام وقاتله حتى قتله ، ثم حمل اللواء أخوهما الجُلاَس بن طلحة بن أبي طلحة ، فطعنه طلحة بن عبيد الله طعنة قضت على حياته . وقيل: بل رماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح بسهم فقضي عليه .

هؤلاء ستة نفر من بيت واحد ، بيت أبي طلحة عبد الله بن عثمان بن عبد الدار ، قتلوا جميعاً حول لواء المشركين ، ثم حمله من بني عبد الدار أرطاة بن شُرَحْبِيل ، فقتله على بن أبي طالب ، وقيل: حمزة بن عبد المطلب ، ثم حمله شُرَيح بن قارظ فقتله قُزْمَان - وكان منافقاً قاتل مع المسلمين حمية ، لا عن الإسلام - ثم حمله أبو زيد عمرو بن عبد مناف العبدري ، فقتله قزمان أيضاً ، ثم حمله ولد لشرحبيل بن هاشم العبدري فقتله قزمان أيضاً .

فهؤلاء عشرة من بني عبد الدار - من حمله اللواء - أبيدوا عن آخرهم ، ولم يبق منهم أحد يحمل اللواء . فتقدم غلام لهم حبشي - اسمه صُؤَاب - فحمل اللواء ، وأبدي من صنوف الشجاعة والثبات ما فاق به مواليه من حملة اللواء الذين قتلوا قبله ، فقد قاتل حتى قطعت يداه ، فبرك على اللواء بصدره وعنقه ؛ لئلا يسقط ، حتى قتل وهو يقول: اللّهم هل أعزرت؟ يعني هل أعذرت؟ .

وبعد أن قتل هذا الغلام - صُؤاب - سقط اللواء على الأرض ، ولم يبق أحد يحمله ، فبقي ساقطاً ، ولما قتل أصحاب اللواء انكشف المشركون منهزمين ، لا

---

(١) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ٢٠ .

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ، ٣/ ٢٥٥ .

يلـوون علـى شـئ ، ونـساؤهم يدعون بالويل ، وتبعهم المسلمون يقتلونهم حيث شاؤوا ، حتى أجهضوهم عن العسكر[١] .

وقاتـل المـسلمون عـند لقـاء العدو ، تحت شعار: أمت ، أمت ، واستماتوا في قـتال بطولـي ملحمـي سـجل فـيه صـناديد الإسـلام صـورا رائعـة في الـبطولة والبـسالة[٢] ، وسجل التاريخ روائع بطولات حمزة بن عبد المطلب ، ومصعب ابن عمـير وأبـي دجانـة ، وأبـي طلحـة الأنـصاري ، وسعد بن أبي وقاص ، وأمثالهم كثير[٣] ، فهذا الزبير بن العوام يصف لنا مافعله أبودجانة يوم أحد قال: وجدت في نفـسي حـين سـألت رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الـسيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة وقلـت أنـا ابـن صفية عمته ومن قريش وقد قمت إليه وسألته أياه قبله فأعطاه أبا دجانـة وتـركني والله لأنظـرن مايـصنع فاتبعته فأخرج عصابة له حمراء فعصب بها رأسـه فقالـت الأنـصار أخـرج أبو دجانة عصابة الموت وهكذا كانت تقول له إذا تعصب فخرج وهو يقول:

أنـــا الـــذي عاهـــدني خليلـــي ::: ونحـــن بالـــسفح لـــدى النخـــيل
أن لا أقـــوم الدهـــر في الكـــيول[٥] ::: اضـــرب بـــسيف الله والرســـول[٤]

فجعـل لا يلقـي أحـداً إلا قـتله وكـان في المشركين رجـل لايـدع جريحاً إلا ذفف[٦] عليه فجعل كل منهما يدنو من صاحبه فدعوت الله أن يجمع بينهما فالتقيا فاخـتلفا ضـربتين فـضرب المـشرك أبـا دجانة فاتقاه بدرقته فعضت بسيفه وضربه أبـودجانة فقـتله ، ثم رايته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بن عتبة ثم عدل الـسيف عـنها فقلـت الله ورسـوله أعلم ، قال ابن إسحاق: قال أبو دجانة: رأيت إنـساناً يحمس الناس حماساً شديداً فصمدت له فلما حملت عليه السيف ولول فإذا

---

(١) محمـد بـن يوسـف الـصالحي الـشامي ، سبل الهـدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، ٤/ ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢) مـسلم ، الـصحيح ، ٤/ ١٩١٧ (حـديث ٢٤٧٠) ، أحمـد ، المـسند ، ٣/ ١٢٣ ، ٤/ ٤٦ ، الحاكم ، المستدرك ، ٢/ ١٠٧ - ١٠٨ ، ٣/ ٢٣٠ ، الدارمي ، السنن ٢/ ٢١٩ .

(٣) البخاري ، الصحيح (فتح الباري ، ٧/ ٣٦٧) ، مسلم ، الصحيح ، ٢/ ٢٨٤ ، أحمد ، الفتح الربانـي ، ٢١/ ٦٠٥٩ ، الـواقدي ، المغـازي ، ١/ ٣٠١ ، خلـيفة بـن خـياط ، الـتاريخ ، ص/ ٦٧ .

(٤) البداية والنهاية ، ٤/ ١٧ .

(٥) الكيول: مؤخرة الصفوف .

(٦) ذفف: اجهز عليه .

امرأة فأكرمت سيف رسول الله أن أضرب به امرأة[1] .

وقاتل أسد الله حمزة قتالاً ضارياً ، وأثخن في المشركين قتلاً ، وأطاح برؤوس نفر من حملة لواء المشركين من بني عبدالدار ، وبينما هو على هذه الحال من الشجاعة والإقدام كمن له وحشي حتى تمكن منه ثم رماه بحربته ، فأصاب منه مقتلاً ، يقول وحشي: إن حمزة قتل طعيمة بن عديّ بن الخيار ببدر ، قال لي مولاي جُبير بن مطعم: إن قتلت حمزة بعمي فأنت حر ، فلما خرج الناس عام عينين ، وعينين جبل بجبال أحد ، بينه وبينه واد - خرجت مع الناس إلى القتال ، فلما اصطفوا للقتال خرج سباعُ فقال: هل من مبارز؟ قال: فخرج إليه حمزة بن عبدالمطلب فقال: ياسباع ، ياابن أم أنمار مقطعة البظور ، أتحاد الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ثم شدّ عليه ، فكان كأمس الذاهب قال: وكمنتُ لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحربتي فأضعها في ثُنَّتِه[2] حتى خرجت من بين وَركيه ، قال: فكان ذاك العهد به[3] ، فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة . . . [4] .

وكان من الأبطال المغامرين يومئذ حَنْظَلة الغَسِيل - وهو حنظلة بن أبي عامر ، وأبو عامر هذا هو الراهب الذي سمي بالفاسق ، والذي مضي ذكره قريباً - كان حنظلة حديث عهد بالعُرْس ، فلما سمع هواتف الحرب وهو على امرأته انخلع من أحضانها ، وقام من فوره إلى الجهاد ، فلما التقي بجيش المشركين في ساحة القتال أخذ يشق الصفوف حتى خلص إلى قائد المشركين أبي سفيان صخر بن حرب ، وكاد يقضي عليه لولا أن أتاح الله له الشهادة ، فقد شد على أبي سفيان ، فلما استعلاه وتمكن منه رآه شداد بن الأسود فضربه حتى قتله ، فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إني رأيت الملائكة تغسّله بين السماء والأرض بماء المزن، في صحاف الفضة**» فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأسالوا أهله ماشأنه؟**» فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة[5] ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلذلك غسلته الملائكة**» [6] .

---

(١) البداية والنهاية ، ٤/ ١٨ .

(٢) فاضعها في ثنيته: أي في عاتقه .

(٣) ذلك العهد به: كناية عن موته .

(٤) البخاري ، المغازي رقم ٤٠٧٢ .

(٥) أي: سمع منادي رسول الله يدعو للخروج لملاقاة العدو .

(٦) صحيح السيرة النبوية ، ص٢٨٩ .

وبعد أن اظهر المسلمون ضروباً من الشجاعة في قتال المشركين أحست قريش بالعجز والخور، وانكسرت همتها - حتى لم يجترئ أحد منها أن يدنو من لوائها الذي سقط بعد مقتل صُؤاب فيحمله ليدور حوله القتال - فأخذت في الانسحاب، ولجأت إلى الفرار، ونسيت ما كانت تتحدث به في نفوسها من أخذ الثأر والوتر والانتقام، وإعادة العز والمجد والوقار.

قال ابن إسحاق: ثم أنزل الله نصره على المسلمين، وصدقهم وعده، فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم عن المعسكر، وكانت الهزيمة لاشك فيها.

قال الزبير بن العوام، والبراء بن عازب: لقد رأيتنا ننظر إلى خدم هند بنت عتبة، وصواحبها مشمرات هوارب يرفعن عن سوقهن، حتى بدت خلاخلهن، وانهزم القوم ما دون أخذهن قليل ولا كثير، وكانت الهزيمة لا شك فيها، ودخل المسلمون عسكر المشركين فانتهبوه[1].

وحقق المسلمون الانتصار في الجولة الأولى من المعركة[2]. وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

خطأ الرماة وماحدث في صفوف المسلمين:

ولما رأى الرماة الهزيمة التي حلت بقريش وأحلافها تنادوا: «الغنيمة الغنيمة ظهر أصحابكم فما تنتظرون» فقال لهم أميرهم عبد الله بن جبير: «أنسيتم ما قال لكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟» قالوا: «والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة»، وهرعوا إلى جمع الغنائم تاركين مواضعهم الحصينة الخطيرة، عاصين أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باستثناء أميرهم عبد الله بن جبير. وكانت فرصة مواتية للمشركين فانتهز خالد بن الوليد هذه الفرصة الذهبية، فكرَّ بسرعة خاطفة إلى جبل الرماة ليدور من خلفه إلى مؤخرة الجيش الإسلامي، فلم يلبث أن أباد عبد الله بن جبير وأصحابه إلا البعض الذين لحقوا بالمسلمين، ثم انقض على المسلمين من خلفهم، وصاح فرسانه صيحة عرف بها المشركون المنهزمون بالتطور

---

(١) محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ٤/ ١٩٥ - ١٩٦.

(٢) البخاري، الصحيح، [فتح الباري، ٦/ ١٦٢، ٣٧٥ (حديث ٣٠٤٣)]، الطبري، تفسير، ٧/ ٢٨١ - ٢٨٨، ابن كثير، التفسير، ٢/ ١١٤ - ١١٥ من رواية الإمام أحمد (انظر: المسند ١/ ٢٨٧ - ٨)، الحاكم، المستدرك، ٢/ ٢٩٦.

الجديد فانقلبوا على المسلمين، وأسرعت امرأة منهم - وهي عمرة بنت علقمة الحارثية - فرفعت لواء المشركين المطروح على التراب، فالتف حوله المشركون ولاثوا به، وتنادي بعضهم بعضاً، حتى اجتمعوا على المسلمين، وثبتوا للقتال، وأحيط المسلمون من الأمام والخلف، ووقعوا بين شِقَّي الرحي [1]. وفقد المسلمون مواقعهم الأولى، وبدؤوا يقاتلون دون تخطيط ولم يعودوا يميّز بعضهم بعضا [2].

ويبدو أن بعض مقاتلة المشركين قد انتبهوا إلى وجود الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع تسعة من أصحابه، سبعة منهم من الأنصار فهاجموهم، واستبسل الأنصار واستشهدوا واحدا بعد الآخر [3]، عن أنس بن مالك، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه [4] قال: «**من يردوهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضا فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة؟**» فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحبيه: «**ما أنصفنا أصحابنا**»[5][6]، وكان آخر هؤلاء السبعة هو عمارة بن يزيد بن السَّكَن، أو زياد بْن السكن، قاتل حتى أثبتته الجراحة فسقط [7].

وبعد سقوط ابن السكن بقي الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القرشيين فعن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بعض تلك الأيام التي يقاتل فيهن غير طلحة ابن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص [8]، فقاتل عنه طلحة بن عبيد

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/ ١١٢، الطبري، التفسير، ٧/ ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) البخاري، الصحيح (فتح الباري - حديث ٤٠٦٥)، الحاكم، المستدرك، ٣/ ٢٠٢، أحمد، المسند، ٤/ ٢٠٩ - ٢١١، ابن هشام، ٣/ ١٢٧.

(٣) مسلم، الصحيح، ٣/ ١٤١٥ (حديث ١٧٨٩).

(٤) رهقوه أي غشوه وقربوا منه، قال القاضي عياض: قيل لا يستعمل ذلك إلّا في المكروه، وقيل: كل شيء دنوت منه فقد رهقته.

(٥) المعنى على هذه الرواية: ما أنصفت قريش الأنصار، لكون القرشيّين لم يخرجا للقتال، بل خرجت الأنصار واحدا تلو الآخر وقد روي أيضا: ما أنصفنا أصحابنا والمراد بالأصحاب حينئذ الذين فروا من القتال فإنهم لم ينصفوه لفرارهم.

(٦) مسلم، ١٧٨٩.

(٧) ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، ١/ ١٥٨.

(٨) روى الحديث البخاري في كتاب المغازي ١٨ باب ح ٤٠٦٠ وفي ٦٢ كتاب فضائل

الله حتى أثخن وأصيب بسهم شلّت يمينه [١]، وقاتل سعد بن أبي وقاص بين يدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكان يناوله النبال ويقول له: «**إرم يا سعد، فداك أبي وأمّي**» [٢]. واستطاع المشركون أن يخلصوا قريباً من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرماه عتبة بن أبي وقاص بالحجارة فكسر أنفه الشريف ورباعيته [٣] اليمنى السفلى، وشج في وجنته [٤] وكُلِمَتْ [٥] شفته السفلي، وتقدم إليه عبد الله بن شهاب الزهري فشجّه في جبهته، وجاء فارس عنيد هو عبد الله بن قَمِئَة، فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر إلا أنه لم يتمكن من هتك الدرعين، ثم ضرب على وجنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضربة أخري عنيفة كالأولي حتى دخلت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجْنَتِه، وقال: خذها وأنا ابن قمئة. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يمسح الدم عن وجهة: «**أقمأك الله**» [٦].

وعن أنس، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كسرت رباعيته، وشج، فجعل يسلت [٧] الدم عن وجهه ويقول: «**كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا**

الصحابة ح ٣٧٢٢ .ومسلم في ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ٦ باب ح ٤٧ .

(١) البخاري، الصحيح [فتح الباري، ٧/ ٣٥٩ (حديث ٣٧٢٤)].

(٢) البخاري، الصحيح [فتح الباري، ٧/ ٣٥٨ (حديث ٣٧٢٤)].

(٣) الرباعية: السن بين الثنية والناب وهي أربع رباعيتان في الفك الأعلى ورباعيتان في الفك الأسفل.

(٤) الوجنة: أعلى الخد.

(٥) كلم: جرح وخدش.

(٦) قال ابن هشام: عتبة بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الذي رمى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد فكسر رباعيته اليمنى السفلى وجرح شفته السفلى وعبد الله بن شهاب الزهري شجه في وجهه وابن قمئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من المغفر في وجنته، وقد اختلف في إسلام عتبة، والصحيح أنه لم يسلم، قال السهيلي ولم يولد من نسله ولد، فبلغ الحلم إلا وهو أبخر واهتم، يعرف ذلك في عقبه، وأما عبد الله بن شهاب فأسلم، وهو جد شيخ مالك محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، وقد قيل لابن شهاب شيخ مالك: أكان جدك عبد الله بن شهاب ممن شهد بدرا؟ فقال نعم، ولكن من ذلك الجانب يعني مع الكفار، وأما ابن قميئة واسمه عبد الله فنطحه تيس فتردى من شاهق، وفي مستدرك الحاكم: أنه لما فعل عتبة ما فعل جاء حاطب بن أبي بلتعة فقال يا رسول الله من فعل هذا بك؟ فأشار إلى عتبة، فتبعه حاطب حتى قتله وجاء بفرسه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. القاضي أبو الفضل عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق العلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمني، طبعة دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م، ١/ ١٠٥.

(٧) السلت: المسح والإزالة.

رباعيته، وهو يدعوهم» ، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨] (١) .

وقعت هذه كلها بسرعة هائلة في لحظات خاطفة ، وإلا فالمصطفون الأخيار من صحابته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذين كانوا في مقدمة صفوف المسلمين عند القتال - لم يكادوا يرون تغير الموقف ، أو يسمعوا صوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أسرعوا إليه ؛ لئلا يصل إليه شيء يكرهونه ، إلا أنهم وصلوا وقد لقي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما لقي من الجراحات - وستة من الأنصار قد قتلوا والسابع قد أثبتته الجراحات ، وسعد وطلحة يكافحان أشد الكفاح - فلما وصلوا أقاموا حوله سياجاً من أجسادهم وسلاحهم ، وبالغوا في وقايته من ضربات العدو ، ورد هجماته . وكان أول من رجع إليه أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

روي عن عائشة قالت: قال أبو بكر الصديق: لما كان يوم أحد انصرف الناس كلهم عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكنت أول من فاء إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فرأيت بين يديه رجلا يقاتل عنه ويحميه ، قلت: كن طلحة ، فداك أبي وأمي ، كن طلحة ، فداك أبي وأمي ، حيث فاتني ما فاتني ، فقلت: يكون رجل من قومي أحب إلي فلم أنشب أن أدركني أبو عبيدة بن الجراح ، وإذا هو يشتد كأنه طير حتى لحقني ، فدفعنا إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فإذا طلحة بين يديه صريعاً ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دونكم أخاكم فقد أوجب» ، وقد رمي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وَجْنَتِهِ حتى غابت حلقتان من حلق المِغْفَر في وجنته ، فذهبت لأنزعهما عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر ، إلا تركتني ، قال: فأخذ بفيه فجعل ينَضِّضه كراهية أن يؤذي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم استل السهم بفيه ، فَنَدَرَت ثنية أبي عبيدة ، قال أبو بكر: ثم ذهبت لآخذ الآخر ، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر ، إلا تركتني ، قال: فأخذه فجعل ينضضه حتى اسْتَلَّه ، فندرت ثنية أبي عبيدة الأخري ، ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (دونكم أخاكم ، فقد أوجب) ، قال: فأقبلنا على طلحة نعالجه ، وقد أصابته بضع عشرة ضربة (٢) . وفي تاريخ دمشق: فأتيناه في بعض تلك الحفار فإذا به بضع وستون أو أقل أو أكثر ، بين طعنة ورمية وضربة ، وإذا قد قطعت إصبعه ،

(١) رواه مسلم في ٣٢ كتاب الجهاد ٣٧ باب غزوة أحد .
(٢) زاد المعاد في هَدْي خير العباد ، ٣/ ١٨٤ .

فأصلحنا من شأنه [١] .

وخلال هذه اللحظات الحرجة اجتمع حول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ عصابة من أبطال المسلمين منهم أبو دُجَانة ، ومصعب بن عمير ، وعلى بن أبي طالب ، وسهل بن حنيف ، ومالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري ، وأم عمارة نُسَيْبة بنت كعب المازنية ، وقتادة ابن النعمان ، وعمر بن الخطاب ، وحاطب بن أبي بلتعة ، وأبو طلحة .

كما كان عدد المشركين يتضاعف كل آن ، وبالطبع فقد اشتدت حملاتهم وزاد ضغطهم على المسلمين ، حتى سقط رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في حفرة من الحفر التي كان أبو عامر الفاسق يكيد بها ، فجُحِشَتْ ركبته [٢] ، وأخذه على بيده ، واحتضنه طلحة بن عبيد الله حتى استوي قائماً [٣] ، وقال نافع بن جبير: سمعت رجلاً من المهاجرين يقول: شهدت أحداً فنظرت إلى النبل يأتي من كل ناحية ، ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسطها ، كل ذلك يصرف عنه ، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، ورسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إلى جنبه ، ما معه أحد ، ثم جاوزه ، فعاتبه في ذلك صفوان ، فقال: والله ما رأيته ، أحلف بالله إنه منا ممنوع ، خرجنا أربعة ، فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله ، فلم نخلص إلى ذلك [٤] .

بطولات في وقت الشدة:

وقام المسلمون ببطولات نادرة وتضحيات رائعة ، لم يعرف لها التاريخ نظيراً . فقاتل أبو طلحة الأنصاري الذي كان من أمهر الرماة ، وهو الذي قال عنه النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «لصوت أبي طلحة في الجيش أشدّ على المشركين من فئة» [٥] وقد كان متترساً على رسول الله بحجفة ، وكان رامياً شديد النزع [٦] ، كسر يومئذ

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٢٥/ ٧٦ .
(٢) مغازي الواقدي ، ١/ ٩٠ .
(٣) زاد المعاد في هَدْي خير العباد ، ٣/ ١٧٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ، ١/ ١٣٠ .
(٤) زاد المعاد في هَدْي خير العباد ، ٣/ ١٨٠ .
(٥) البخاري ، الصحيح ، (فتح الباري ٧/ ٣٦١) ، أحمد ، المسند ، (الفتح الرباني ٢٢/ ٥٨٩ بإسناد رجاله ثقات ، الواقدي ، المغازي ، ١/ ٢٤٣ باختلاف في نص الحديث .
(٦) صحيح السيرة النبوية ، ص٢٩٦ .

قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر معه الجعبة[1] من النبل ، فيقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**انثرها لأبي طلحة**» ، ثم يشرف إلى القوم ، فيقول أبو طلحة: يانبي الله بأبي أنت ، لاتشرف إلى القوم[2] ، ألايصيبك سهم ، نحري دون نحرك[3][4] .

ووقفت نسيبة بنت كعب تذب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسيف وترمي بالقوس وأصيبت بجراح كبيرة ، وترس أبو دجانة دون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحني عليه حتى كثر فيه النبل[5] .

وتبع حاطب بن أبي بلتعة عتبة بن أبي وقاص - الذي كسر الرَّباعية الشريفة - فضربه بالسيف حتى طرح رأسه ، ثم أخذ فرسه وسيفه ، وكان سعد بن أبي وقاص يقول والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصي على قتل عتبة بن أبي وقاص وهو أخوه وإن كان ما علمت لسيئ الخلق مبغضا في قومه ولقد كفاني منه قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اشتد غضب الله على من دمى وجه رسوله**» [6] وإن كان لم يظفر به ، فقد ظفر به حاطب وقتله قال حاطب لما رأيت ما فعل عتبة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قلت لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أين توجه عتبة فأشار النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حيث توجه فمضيت حتى ظفرت به فضربته بالسيف فطرحت راسه فنزلت وأخذت فرسه وسيفه وجئت به إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لي رضي الله عنك رضي الله عنك مرتين أى [7] .

وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يباشر الرماية بنفسه ، فعن قتادة بن النعمان: أن رسول الله رمي عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها[8] ، فأخذها قتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عينه حتى وقعت على وَجْنَتِه ، فردها رسول الله

---

(١) الجعبة: الكنانة التي تجعل فيها السهام .

(٢) لا تشرف: لاتتطلع .

(٣) نحري دون نحرك: جعل الله نحري أقرب إلى السهام من نحرك لأصاب بها دونك .

(٤) صحيح السيرة النبوية ، ص٢٩٦ .

(٥) البداية والنهاية ، ٤/ ٣٥ ، ٣٦ .

(٦) الكلاعي ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، ٢/ ٦٤ .

(٧) علي بن برهان الدين الحلبي ، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ٢/ ٥١٣ ، وقد اختلف في إسلام عتبة ، وقد رجح البعض أنه لم يسلم ، وقال السهيلي ولم يولد من نسله ولد ، فبلغ الحلم إلا وهو أبخر واهتم ، يعرف ذلك في عقبه . الروض الأنف ، ٣/ ٢٦٤ .

(٨) سية القوس ما عطف من طرفيها والجمع سيات .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحَدَّهُما[١] .

وقاتل عبد الرحمن بن عوف حتى أصيب فوه يومئذ فهُتِمَ ، وجرح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها في رجله فعرج[٢] .

وامتص مالك بن سنان والد أبي سعيد الخدري الدم من وجنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أنقاه ، فقال: (مُجَّه) ، فقال: والله لا أمجه ، ثم أدبر يقاتل ، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**» ، فقتل شهيداً[٣] .

وقاتلت أم عمارة فاعترضت لابن قَمِئَة في أناس من المسلمين ، فضربها ابن قمئة على عاتقها ضربة تركت جرحاً أجوف ، وضربت هي ابن قمئة عدة ضربات بسيفها ، لكن كانت عليه درعان فنجا ، وبقيت أم عمارة تقاتل حتى أصابها اثنا عشر جرحاً .

قالت أم سعد بنت سعد بن الربيع: دخلت على أم عمارة فقلت لها: يا خالة أخبريني خبرك ، فقالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعي سقاء فيه ماء فانتهيت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في أصحابه والدولة والريح للمسلمين . فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وأرمي عن القوس حتى خلصت الجراح إلي . قالت فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غور ، فقلت: من أصابك بهذا؟ قالت ابن قمئة أقمأه الله لما ولي الناس عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أقبل يقول دلوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضربني هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان[٤] .

قال علي بن برهان الدين الحلبي: خرجت نسيبة يوم أحد وزوجها زيد ابن عاصم وابناهما خبيب وعبد الله رضي الله تعالى عنهم وقال لهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رحمكم الله أهل البيت**» وفي رواية: «**بارك الله فيكم أهل بيت**» . قالت له أم عمارة رضي الله تعالى عنها: ادع الله أن نرافقك في الجنة فقال: «**اللهم**

(١) دلائل النبوة للبيهقي ، ٣/ ٢٧٦ .
(٢) الروض الأنف ، ٣/ ٢٦٧ .
(٣) دلائل النبوة للبيهقي ، ٣/ ٣٠٣ .
(٤) الروض الأنف ، ٣/ ٢٦٨ .

اجعلهم رفقائي في الجنة»، وعند ذلك قالت رضي الله تعالى عنها ما أبالي ما اصابني من أمر الدنيا [1].

وكان مصعب بن عمير يحمل اللواء فلما جال المسلمون ثبت به فأقبل ابن قميئة وهو فارس فضرب يده اليمنى فقطعها، وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران ١٤٤] الآية . . . ، وأخذ اللواء بيده اليسرى وحنى عليه فقطع يده اليسرى، فحنى على اللواء وضمه بعضديه إلى صدره وهو يقول: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ الآية . . . ، ثم حمل عليه الثالثة فأنفذه واندق الرمح ووقع مصعب وسقط اللواء وابتدره رجلان من بني عبد الدار سويبط بن حرملة وأبو الروم، وأخذه أبو الروم فلم يزل في يده حتى دخل به المدينة حين انصرف المسلمون، وكان ابن قمئة يظنه رسول الله - لشبهه به - فانصرف ابن قمئة إلى المشركين، وصاح: إن محمداً قد قتل [2].

ولم ينفع بأس المسلمين وحرارة قتالهم ما داموا لا يقاتلون وفق خطة تستهدف أمرا واضحا، وتساقطوا في ميدان المعركة شهداء أبرارا، بعد أن انقطع اتصالهم بالرسول القائد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشاع في ميدان المعركة أنه قد استشهد، فخارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب، إلا أن هذه الصيحة خففت بعض التخفيف من مضاعفة هجمات المشركين؛ لظنهم أنهم نجحوا في غاية مرامهم، فاشتغل الكثير منهم بتمثيل قتلي المسلمين [3].

وفر جمع من المسلمين من ميدان المعركة، وجلس بعضهم إلى جانب ميدان المعركة دون قتال [4]، وآثر آخرون الشهادة بعد أن تصوروا أنهم قد فقدوا نبيّهم! ومن هؤلاء أنس بن النضر الذي كان يأسف لعدم شهوده بدرا والذي قال في ذلك: «والله لئن أراني الله مشهدا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليرين الله كيف

---

(١) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، ٢/ ٥٠٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ٣٣، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ٤/ ٢١٩.

(٣) البخاري، الصحيح (فتح الباري ٧/ ٣٦١)، ابن هشام، السيرة، ٣/ ١١٢.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٣/ ٣٣، الطبري، التفسير، ٧/ ٢٥٦.

أصنع» ، فلمّا كان يوم أحد وانكشف المسلمون ، قال: «**اللّهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء**» يعني أصحابه ، «**وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء**» يعني المشركين . ثمّ تقدّم فاستقبله سعد ابن معاذ ، فقال: «**يا سعد بن معاذ، الجنّة وربّ النّضر، إنّي أجد ريحها من دون أحد**» . ثم وجد بعد ذلك وبه بضعا وثمانين ضربة بالسّيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ، وقد مثّل به المشركون فما عرفه أحد إلّا أخته ببنانه . [١] ، ونزل فيه وفي أمثاله قول الله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا**﴾ [الأحزاب: ٢٣] .

ومر رجل من المهاجرين يوم أحد على رجل من الأنصار وهو يتشحط [٢] في دمه فقال له يا فلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الأنصاري إن كان محمد قد قتل فقد بلغ الرسالة فقاتلوا عن دينكم فنزل قوله تعالى: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤] ولعل هذا الأنصاري هو أنس بن النضر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو عم أنس بن مالك [٣] .

أما أولئك النفر الذين فرّوا لا يلوون على شيء رغم دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم بالصمود والثبات فقد نزل فيهم قوله تعالى: ﴿**إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْراكُمْ فَأَثابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلى ما فاتَكُمْ وَلا ما أَصابَكُمْ واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ**﴾ [آل عمران: ١٥٣] .

ولقد حكى القرآن الكريم خبر فرار هذه المجموعة من الصحابة الذين ترخصوا في الفرار بعد سماعهم نبأ مقتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي شاع في ساحة المعركة ، وكان أول من علم بنجاة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه حي هو الصحابي كعب بن مالك الذي رفع صوته بالبشرى فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالسكوت حتى لا يفطن المشركون إلى ذلك [٤] . وقد نص القرآن الكريم على أن الله تعالى قد عفا عن تلك الفئة التي فرت ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى**

---

(١) ابن المبارك ، كتاب الجهاد ، ص ٦٣ ، البخاري ، الصحيح ، (فتح الباري ، ٦/ ٢١ ، ٧/ ٢٧٤ ، ٨/ ٥١٧) .

(٢) يتشحط: يتخبط ويتمرغ ويضطرب .

(٣) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ٣٥ ، البيهقي ، دلائل النبوة ، ٣/ ١٧٠ .

(٤) الحاكم ، المستدرك ، ٣/ ٢٠١ ، الهيثمي ، مجمع الزوائد ، ٦/ ١١٢ .

الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

ولما نادي كعب بن مالك: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبالرغم من أن الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشار إليه أن اصمت - وذلك لئلا يعرف موضعه المشركون - إلا أن هذا الصوت بلغ إلى آذان المسلمين، فلاذ إليه المسلمون وتجمع حوله الصحابة من جديد.

واستجمع المسلمون قواهم من جديد ونظموا صفوفهم بقيادة الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستطاع عمر بن الخطاب أن يرد هجومًا مضادًا قاده خالد ضد المسلمين من عالية الجبل، واستبسل الصحابة الذين كانوا مع عمر في رد الهجوم العنيف، وعاد المسلمون فسيطروا على الموقف من جديد، قال ابن إسحاق: بينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعب إذ علت عالية من قريش الجبل - يقودهم أبو سفيان وخالد بن الوليد - فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللّهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا**»، فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم وعلا المسلمون الجبل"[1].

كما روي أن المشركين لما صعدوا على الجبل، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد: «**اجْنُبْهُمْ**» - يقول: اردهم - فقال: كيف أجْنُبُهُمْ وحدي؟ فقال ذلك ثلاثاً، فأخذ سعد سهماً من كنانته، فرمي به رجلاً فقتله، قال: ثم أخذت سهمي أعرفه، فرميت به آخر، فقتلته، ثم أخذته أعرفه فرميت به آخر فقتلته، فهبطوا من مكانهم، فقلت: هذا سهم مبارك، فجعلته في كنانتي. فكان عند سعد حتى مات، ثم كان عند بنيه[2]. وقد استمر القتال بين الطرفين حتى أجهدا، وانسحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمن معه ومن لحق به من أصحابه إلى أحد شعاب جبل أحد[3] ولما أراد الحبيب محمد الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصعود إلى الجبل عرضت له صخرة من الجبل، فنهض إليها ليعلوها فلم يستطع؛ لأنه كان قد بَدَّنَ وظاهر بين الدرعين[4]، وقد أصابه جرح شديد. فجلس تحته طلحة بن عبيد الله، فنهض

---

(١) الطبري في التفسير ٤ / ٦٧.
(٢) زاد المعاد في هَدْي خير العباد، ٣/ ١٨٠.
(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٧/ ٣٥٨، مسلم، الصحيح، ٢/ ٣٢١.
(٤) الدِّرْع: الزَّرَدِيَّة وهي قميص من حلقات من الحديد متشابكة يُلْبَس وقايةً من السلاح.

به حتى استوي عليها، وقال: «أَوْجَبَ[١] طلحةُ»[٢].

وكان المسلمون في حالة من الألم والخوف والغم لما أصاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما أصابهم رغم نجاحهم في رد المشركين. فأنزل الله عليهم النعاس فناموا يسيرا ثم أفاقوا آمنين مطمئنين[٣]، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعاساً يَغْشى طائِفَةً مِنْكُمْ وَطائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لله يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلى مَضاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ الله ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ والله عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقد أجمع المفسرون على أن الطائفة التي قد أهمتهم أنفسهم هم المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وبعض من بقي منهم مع الجيش الإسلامي[٤].

ولما أسند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعب أدركه أبي بن خلف وحاول الوصول إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقتله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان أبي بن خلف يلقى رسول الله بمكة، فيقول: يامحمد، إن عندي العَوْد، فرساً أعْلفه كل يوم، أقتلك عليه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بل أنا أقتلك إن شاء الله، فلما كان يوم أحد، وأسند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشِّعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول: أي محمد لانجوتُ إن نجوت، فقال القوم: يارسول الله، أيعطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دعوه. فلما دنا تناول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحربة من الحارث بن الصِّمة، فلما أخذها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه انتفض بها انتفاضة تطاير عنه من حوله تطاير الشَّعراء[٥] عن ظهر البعير إذا انتفض بها ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ[٦] منها عن فرسه مراراً، فلما رجع إلى قريش وقد خدشه في عنقه خَدْشا غير كبير، فاحتقن الدم، قال: قتلني والله محمد قالوا

(١) أوجب: أي وجبت له الجنة.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي، ٣/ ٢٥٥.
(٣) البخاري، الصحيح، (فتح الباري، ٧/ ٣٦٥).
(٤) الطبري، التفسير، ٧/ ٣٢٣، ابن كثير، التفسير، ١/ ٤١٨.
(٥) الشَّعراء: ذباب له لدغ.
(٦) تدأدأ: تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج.

لـه: ذهـب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ، قال: إنه قد كان قال لي بمكة: أنا أقـتلك ، فوالله لو بَصَق عليّ لقتلني ، فمات عدو الله بسرف[1] وهم قافلون به إلى مكة[2] .

وفي روايـة فأتـاه أصـحابه فاحـتملوه وهـو يخـور خوار [3] الثور ، فقالوا: ما أجـزعك [4]؟ إنمـا هو خدش ، فذكر لهم قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا أقتل أبـيا**» ، ثـم قـال: والـذي نفـسي بيده ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون ، فمات إلى النار ، فسحقا لأصحاب السعير[5] .

ولمـا يئست قـريش من تحقيق نصر حاسم ، وأجهد رجالها من طول المعركة ، ومـن صمود المسلمين وجلدهم ، وخاصة بعد أن اطمأنوا وأنزل الله عليهم الأمنة والـصمود والتفوا حول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم صد هجوم خالد بن الوليد وأبو سـفيان ، ومـا كـان من مقتل أبي بن خلف ، فقد كفّوا عن مطاردة المسلمين وعن محاولة اختراق قوتهم [6] .

ثم إن أبا سفيان بن حرب حين أراد الانصراف بالجيش أشرف على الجبل ثم صـرخ بأعلـى صوته فقال أفيكم محمد؟ فلم يجيبوه . فقال: أفيكم ابن أبي قحافة؟ فلـم يجيبـوه . فقـال: أفـيكم عمـر بـن الخطـاب؟ فلـم يجيـبوه – وكـان الـنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مـنعهم مـن الإجابة – ولم يسأل إلا عن هؤلاء الثلاثة لعلمه وعلم قومه أن قيام الإسلام بهم . فقال: أما هؤلاء فقد كفيتموهم ، فلم يملك عمر نفسه أن قـال: يـا عـدو الله ، إن الذين ذكرتهم أحياء ، وقد أبقي الله ما يسوؤك . فقال: قد كان فيكم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني .

ثم قال: أعْلِ هُبَل [7] .

فقـال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تجيبونه؟**» فقالوا: فما نقول؟ قال: «**قولوا: الله**

---

(١) سرف: موضع على ستة أميال من مكة .
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ، ٣/ ٩٣ ، ٩٤ .
(٣) الخوار: الصياح .
(٤) الجزع: الخوف والفزع وعدم الصبر والحزن .
(٥) دلائل النبوة للبيهقي ، ٣/ ٢٩٠ .
(٦) البخاري ، الصحيح ، (فتح الباري ، ٢/ ٣٤٩) ، أحمد ، المسند ، ٤/ ٢١١ ، ٦/ ١٨١ .
(٧) وسـبب ذلـك أنـه حين أراد الخروج كتب على سهم "نعم" وعلى الآخر "لا" وأجالهما عند هبل فخرج بهم "نعم" فتوجه إلى أحد فقال اعل هبل أي زذ علو .

أعلى وأجل» .

ثم قال: لنا العُزَّى ولا عزى لكم .

فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ألا تجيبونه؟**» قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم**» .

ثم قال أبو سفيان: أَنْعَمْتَ فَعَال ، يوم بيوم بدر ، والحرب سِجَال .

فأجابه عمر ، وقال: لاسواء[1] ، قتلانا في الجنة ، وقتلاكم في النار .

ثم قال أبو سفيان: هلم إلي يا عمر ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ائته فانظر ما شأنه؟**» فجاءه ، فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللّهم لا . وإنه ليستمع كلامك الآن . قال: أنت أصدق عندي من ابن قَمِئَة وأبر[2] .

لقد كان في سؤال أبي سفيان عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر دلالة واضحة على اهتمام المشركين بهؤلاء دون غيرهم لأنه في علمهم أنهم أهل الإسلام وبه قام صرحه وأركان دولته وأعمدة نظامه ، ففي موتهم يعتقد المشركون أنه لايقوم الإسلام بعدهم .

وكان السكوت عن إجابة أبي سفيان أولاً تصغيراً له حتى إذا انتشى وملأه الكبر أخبروه بحقيقة الأمر وردوا عليه بشجاعة .

وقد علق ابن القيم[3] علي هذا الموقف بقوله: فأمرهم بجوابه عند افتخاره بآلهته ، وبشركه ، تعظيماً للتوحيد ، وإعلاماً بعزة من عبده المسلمون ، وقوة جانبه ، وأنه لا يغلب ، ونحن حزبه وجنده ولم يأمرهم باجابته حين قال: أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟ بل روى أنه نهاهم عن إجابته ، وقال: لاتجيبوه ، لأن كلمهم لم يكن برد في طلب القوم ، ونار غيظهم بعد متوقدة ، فلما قال لأصحابه: أما هؤلاء فقد كفيتموهم ، حمي عمر بن الخطاب واشتد غضبه وقال: كذبت ياعدو الله ، فكان في هذا الإعلام من الإذلال ، والشجاعة وعدم

---

(١) لا سواء: أي لا نحن سواء ، وقد جاز دخول لا في هذا الموضع ، لأن القصد فيه نفي الفعل: أي لا نستوي .

(٢) لقول ابن قميئة له أني قتلت محمدا ، انظر: سيرة ابن هشام ، ٢/ ٩٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ٩٣ ، السيرة النبوية الصحيحة ، ٢/ ٣٩٢ .

(٣) زاد المعاد ، ٣/ ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الجبن ، والتعرف إلى العدو في تلك الحال مايؤذيهم بقوة القوم وبسالتهم ، وأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا ، وأنه وقومه جديرون بعدم الخوف منهم ، وقد أبقى الله لهم مايسوؤهم منهم ، وكان في الإعلام ببقاء هؤلاء الثلاثة وهلة بعد ظنه وظن قومه أنهم قد أصيبوا من المصلحة ، وغيظ العدو وحزبه ، والضتٌ في عضده ماليس في جوابه حين سأل عنهم واحداً واحداً ، فكان سؤاله عنهم ونعيهم لقومه آخر سهام العدو وكيده ، فصبر له النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حتى استوفى كيده ، ثم انتدب له عمر ، فرد بسهام كيده عليه ، وكان ترك الجواب عليه أحسن ، وذكره ثانياً أحسن ، وأيضاً فإن في ترك إجابته حين سأله عنهم إهانة له ، وتصغيراً لشأنه ، فلما منَّته نفسه موتهم ، وظن أنهم قد قتلوا ، وحصل له بذلك من الكبر والأشر ماحصل ، كان في جوابه إهانة له ، وتحقير ، وإذلال ، ولم يكن هذا مخالفاً لقول النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لاتجيبوه**» فانه إنما نهى عن إجابته حين سأل: أفيكم محمد؟ أفيكم فلان؟ ولم ينه عن إجابته حين قال: أما هؤلاء فقد قتلوا ، وبكل حال فلا أحسن من ترك إجابته أولاً ، ولا أحسن من إجابته ثانياً .

ولما انصرف أبو سفيان ومن معه نادى: إن موعدكم بدر العام المقبل ، فقال رسول الله لرجل من أصحابه: قل: نعم هي بيننا وبينك موعداً ، ثم بعث رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علي بن أبي طالب فقال: «**اخرج في إثر القوم فانظر ماذا يصنعون، وماذا يريدون، فإن كانوا قد جنبوا الخيل وامتطوا الابل فإنهم يريدون مكة، وان ركبوا الخيل وساقوا الابل فإنهم يريدون المدينة، والذي نفسي بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها، ثم لأناجزنهم**» ، قال علي رحمة الله عليه: فخرجت في إثرهم أنظر ماذا يصنعون ، فلما جنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجهوا إلى مكة ، أقبلت أصيح ما أستطيع أن أكتم ما أمرني به رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لما بي من الفرح إذ رأيتم انصرفوا عن المدينة[1] .

تفقد القتلى والجرحى:

وفرغ الناس لقتلاهم بعد منصرف قريش وانتشروا يبتغونهم فلم يجدوا قتيلا إلا وقد مثلوا به إلا حنظلة بن أبي عامر . قال زيد بن ثابت: بعثني رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع . فقال لي: (إن رأيته فأقرئه مني السلام ، وقل له: يقول لك رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كيف تجدك؟**» قال:

(١) انظر: سيرة ابن هشام ، ٢/ ٩٤ ، ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٤/ ٩٣ .

فجعلت أطوف بين القتلي، فأتيته وهو بآخر رمق، فيه سبعون ضربة؛ ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم، فقلت: يا سعد، إن رسول الله يقرأ عليك السلام، ويقول لك: أخبرني كيف تجدك؟ فقال: وعلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السلام، قل له، يا رسول الله، أجد ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيكم عين تطرف، وأسلم الروح مطمئنا، بعد أن بعث رسالته إلى النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإلى قومه الأنصار[1].

ولم ينس المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه سعد بن الربيع. ولا نسيه تاريخ الإسلام الذى استوعب رسالة هذا الجندي الشهيد، وعرف مغزاها ودلالتها، ورصد موقعها من نفوس المؤمنين: تزيدهم ثباتا وقوة واستبسالا وإصرارا[2].

فقد روى أن رجلا دخل على أبي بكر الصديق وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشفها ويقبلها فقال له الرجل من هذه؟ قال هذه بنت رجل خير مني، سعد بن الربيع، كان من النقباء ليلة العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد[3].

وكان من بين جرحي المسلمين الأُصَيرِم - عمرو بن ثابت - ومن عجيب من أنهم كانوا من قبل يعرضون عليه الإسلام فيأباه، فوجدوه وهو يعاني سكرات الموت، يقول عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الأصيرم يأبى الإسلام على قومه، فجاء ذات يوم ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بأحد فقال: «**أين سعد بن معاذ؟**» فقيل بأحد، فقال: «**أين بنو أخيه؟**» قيل: بأحد، فسأل عن قومه فقيل: بأحد، فبدا له الإسلام فأسلم، وأخذ سيفه، ورمحه، وأخذ لأمته وركب فرسه فعدا حتى دخل في عُرْض الناس، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا ياعمرو، قال إني قد آمنت. فقاتل حتى أثخنته الجراحة، فبينما رجال من بني عبدالأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به، فقالوا: والله إن هذا للأصيرم، ماجاء به؟ لقد تركناه وإنه منكر لهذا الحديث، فسألوه: ماجاء بك؟ أحَدَبٌ[4] على قومك أم رغبة في الإسلام؟ فقال: بل رغبة في الإسلام، آمنت بالله تعالى ورسوله

(١) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٩٤، ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/ ٩٣.
(٢) الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ)، مع المصطفي، ص٢٦١.
(٣) انظر: سيرة ابن هشام، ٢/ ٩٤.
(٤) أي: تعطف عليهم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأسلمت ثم أخذت سيفي فغدوت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قاتلت حتى أصابني ما أصابني وإن مت فأموالي إلى محمد يضعها حيث شاء، فذكروه لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إنه من أهل الجنة.

وقيل: مات فدخل الجنة وماصلى من صلاة، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عملاً يسيراً وأجراً كثيراً**» (١)، وكان أبو هريرة يقول: حدّثوني عن رجل دخل الجنة ولم يُصلّ قط فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو قال: هو أُصيرم بن عبدالأشهل (٢).

ووجدوا في الجرحي أيضا رجل يدعي قُزْمَان وكان ممن قاتل مع المسلمين يوم أحد، وعرف بالشجاعة، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول إذا ذكر له: إنه من أهل النار، فتأخر يوم أحد فعيرته نساء بني ظفر، فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو يسوي الصفوف حتى انتهى إلى الصف الأول، فكان أول من رمى من المسلمين بسهم، فجعل يرسل نبلاً كأنها الرماح ويكت كتيت الجمل، ثم فعل بالسيف الأفاعيل حتى قتل سبعة أو تسعة وأصابته جراحة، فوقع فناداه قتادة بن النعمان: يا أبا الغيداق، هنيئًا لك الشهادة، وجعل رجال من المسلمين يقولون له: والله لقد أبليت اليوم يا قزمان فأبشر، قال: بماذا؟ فوالله ما قاتلت إلا على أحساب قومي، فلولا ذلك ما قاتلت، فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إنه من أهل النار، إن الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**» (٣).

وهذا هو مصير المقاتلين في سبيل الوطنية أو في أي سبيل سوي إعلاء كلمة الله، وإن قاتلوا تحت لواء الإسلام، بل وفي جيش الرسول والصحابة (٤).

وإذا كان هناك من ناصر المسلمين - وهو علي غير دينهم - حمية لقومه، فهناك من ناصرهم إيمانا برسالة الإسلام وقضية التوحيد مثل مخيريق، وكان من شأنه أنه لما كانت غزوة أحد وخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقاتل المشركين، جمع قومه اليهود وقال لهم: يامعشر يهود، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق، قالوا: ان اليوم يوم السبت، قال: لاسبت لكم، فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ماشاء، ثم غدا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،

---

(١) البخاري، الجهاد، رقم ٢٨٠٨.
(٢) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ١٠٠، ١٠١.
(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٢/ ٩٩.
(٤) الرحيق المختوم، ص ٢٥٣.

فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مخيريق خير يهود» [١] .

جمع الشهداء ودفنهم:

ثم أمر الرسول بدفن شهداء المسلمين وكانوا سبعين شهيدا [٢] ، في حين بلغ عدد قتلى قريش اثنين وعشرين رجلا [٣] .

وجمع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين الرجلين من الشهداء في ثوب واحد ، وقدم عند الدفن أحفظهم لكتاب الله ، وأمر أن يدفنوا في دمائهم فلم يغسلوا ولم يصلّ عليهم وقال: «**أنا شهيد على هؤلاء، إنه مامن جريح يجرح في الله إلا والله بعثه يوم القيامة، يدمي جرحه اللون لون دم، والريح ريح المسك**» [٤] . ودفن الاثنان والثلاثة في قبر واحد ، وأمر أن يدفنوا حيث صرعوا ، وكان أناس من الصحابة قد نقلوا قتلاهم إلى المدينة فأمر أن يردوهم ، فيدفنوهم في مضاجعهم وألا يغسلوا ، وأن يدفنوا كما هم بثيابهم بعد نزع الحديد والجلود [٥] .

ودفن عبد الله بن عمرو بن حرام وعمرو بن الجموح في قبر واحد لما كان بينهما من المحبة . وفي قصة عبد الله بن عمرو بن حرام ، قالوا: فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم أحد: «**ادفنوا عبد الله بن عمرو بن حرام، وعمرو بن الجموح في قبر واحد**» ، ويقال: إنما أمر بذلك لما كان بينهما من الصفاء ، فقال: «**ادفنوا هذين المتحابين في الدنيا في قبر واحد**» ، ويقال: إنهما وجدا وقد مثل [٦] بهما كل المثل ، فلم تعرف أبدانهما ، وكان عبد الله بن عمرو رجلا أحمر أصلع ليس بالطويل ، وكان عمرو بن الجموح رجلا طويلا ، فعرفا ، ودخل السيل [٧] عليهما ، وكان قبرهما مما يلي السيل ، فحفر عنهما وعليهما نمرتان [٨] ، وعبد الله

---

(١) المغازي للواقدي ، ١/ ٢٦٣ ، والسيرة لابن هشام ، ٤/ ٩٩ .

(٢) البخاري ، الصحيح ، فتح الباري ، حديث ٤٠٤٣ ، ابن هشام ، السيرة ، ٤/ ١٠٠ ، الواقدي ، المغازي ، ١/ ٢٠٠ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ، ٤/ ١٠٠ ، الواقدي ، المغازي ، ١/ ٣٠٧ ، أما عند ابن سعد ، الطبقات ٢/ ٤٢ ، فإن عددهم ثلاثة وعشرون .

(٤) البخاري ، الصحيح ، فتح الباري ، ٣/ ٢٠٩ ، حديث ٤٠٧٩ ، أبو داود ، السنن ، ٢/ ١٧٤ .

(٥) البخاري ، الصحيح ، فتح الباري ، ٣/ ٢٠٩ ، حديث ٤٠٧٩ ، أبو داود ، السنن ، ٢/ ١٧٤ .

(٦) التمثيل: جدع الأطراف أو قطعها أو تشويه الجسد والتنكيل به .

(٧) السيل: الماء الغزير المندفع بشدة .

(٨) النمار: جلود النُمور ، وهي السِّباع المعروفة ، واحِدُها: نَمِر . والنمار أيضا: كلُّ شَمْلَةٍ مُخَطَّطة من مآزِر وسراويل الأعراب فهي نَمِرة ، وجمعُها: نِمار .

قد أصابه جرح في يده، فيده على جرحه، فأميطت [1] يده عن جرحه، فانثعب الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم، قال: جابر فرأيت أبي في حفرته فكأنه نائم، فقيل له: أفرأيت أكفنته؟ فقال: إنما دفن في نمرة خمر [2] بها وجهه، وعلى رجليه الحرمل، فوجدنا النمرة كما هي، والحرمل على رجليه على هيئته، وبين ذلك ست وأربعون سنة، فشاورهم جابر في أن يطيب بمسك، فأبى ذلك أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويقال: إن معاوية لما أراد أن يجري الكظامة نادى مناديه بالمدينة: من كان له قتيل بأحد فليشهد، فخرج الناس إلى قتلاهم فوجدوهم رطابا يثنون، فأصابت المسحاة رجل رجل منهم فانثعب دما، فقال أبو سعيد الخدري: لا ينكر بعد هذا منكر، ووجد عبد الله بن عمرو، وعمرو بن الجموح في قبر واحد، فحولا. وذلك أن القناة كانت تمر على قبرهما، ووجد خارجة بن زيد بن أبي زهير وسعد بن الربيع في قبر واحد، فتركا. ولقد كانوا يحفرون التراب، فحفروا نثرة من تراب، ففاح عليهم ريح المسك [3]

وكان من بين الشهداء حنظلة غسيل الملائكة وكان من شأنه أنه لّما انكشف المشركون ضرب حنظلة فرس أبي سفيان بن حرب فوقع على الأرض، فصاح وحنظلة يريد ذبحه، فأدركه الأسود بن شدّاد، ويقال له ابن شعوب، فحمل على حنظلة بالرمح فأنفذه ومشى إليه حنظلة بالرمح وقد أثبته، ثم ضرب الثانية فقتله، فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إني رأيت الملائكة تغسّله بين السماء والأرض بماء المزن، في صحاف الفضة**» فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأسألوا أهله ماشأنه؟**» فسألوا صاحبته عنه فقالت: خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة [4]، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فلذلك غسلته الملائكة**» [5].

وكان حنظلة بن أبي عامر تزوج جميلة بنت عبدالله بن أبي سلول، فأدخلت عليه في الليلة التي في صبحها قتال أحد. وكان قد استأذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبيت عندها فأذن له، فلّما صلّى بالصبح غدا يريد رسول الله

(١) أماط: نحى وأبعد.
(٢) خَمَّرَ الشَّيْء: غَطَّاه وستره.
(٣) دلائل النبوة للبيهقي، ٣/ ٣٥٢.
(٤) سمع منادي رسول الله يدعو للخروج لملاقاة العدو.
(٥) ابن هشام، السيرة، ٤/ ٢٢.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولـزمته جميلة فعاد فكان معها ، فأجنب منها ثم أراد الخروج ، وقد أرسلت قبل ذلك إلى أربعة من قومها فأشهدتهم أنه قد دخل بها ، فقيل لها بَعْدُ: لم أشهدت عليه؟ قالت: رأيت كأن السماء فُرجَتْ فدخل فيها حنظلة ثم أطبقت ، فقلت: هذه الشهادة ، فأشهدت عليه أنه قد دخل بها[١] .

ثم سأل الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه: من رأى مقتل حمزة؟ فقال رجل: أنا رأيت مقتله ، قال: (فانطلق أرناه) فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى وقف على حمزة فرآه وقد شق بطنه ، وقد مثل به ، ، فاشتد حزنه ، قال ابن مسعود: ما رأينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باكياً قط أشد من بكائه على حمزة بن عبد المطلب [٢] ، وأقبلت صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه وكان أخاها لأبيها وأمها فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابنها الزبير بن العوام القها فارجعها لا ترى ما بأخيها ، فقال لها يا أمه إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرك أن ترجعي ، قالت ولم وقد بلغني أن قد مثل بأخي وذلك في الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله ، فلما أخبر الزبير بذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «**خل سبيلها**» ، فأتته فنظرت إليه فصلت عليه - دعت له - واسترجعت [٣] واستغفرت له ، ثم أمر به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدفن مع عبد الله بن جحش في قبر واحد وهو ابن أخته أميمة بنت عبد المطلب وكان قد مثل به كما مثل بخاله حمزة إلا أنه لم يبقر عن كبده وجدع أنفه وأذناه فلذلك يقال له: المجدع في الله[٤] وكان في أول النهار قد لقي سعد بن أبي وقاص فقال له عبد الله هلم يا سعد فلندع الله وليذكر كل واحد منا حاجته في دعائه وليؤمن الآخر ، فقال سعد يا رب إذا لقيت العدو فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقتله وأسلبه سلبه ، فأمن عبد الله بن جحش ثم قال اللهم ارزقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده أقاتله فيك ، ويقاتلني فيقتلني ثم يجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت لي يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذناك؟ فأقول فيك يا رب وفي رسولك ، فتقول لي صدقت ، فأمن سعد على دعوته ، قال سعد كانت دعوة عبد الله خيرا من دعوتي لقد رأيته آخر النهار وإن أذنيه وأنفه

---

(١) الواقدي ، المغازي ، ١/ ٢٧٣ .

(٢) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، ٢/ ٤٣٥ .

(٣) استرجعت: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، ٤/ ١٠٨ ، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، ٢/ ٧٢ .

معلقتان في خيط ولقيت أنا فلانا من المشركين فقتلته وأخذت سلبه [1]

والحقيقة أن منظر الشهداء كان مريعاً جداً يفتت الأكباد، قال خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هاجرنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونحن نبتغي وجه الله، فوقع أجرنا على الله فمنا من مضى في سبيله ولم يأكل من أجره شيئاً، منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد، ولم يترك إلا نمرة، كنا إذا غطينا رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**غطوا رأسه، واجعلوا على رجليه الأذخر**» [2]، ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها [3]، ومن حديث عبدالرحمن بن عوف أنه أتي بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير، وهو خير مني، كفن في بردة، إن غطي رأسه، وأراه قال: وقتل حمزة وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا أو قال: أعطينا من الدنيا ماأعطينا - وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام [4]، ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين انصرف من أحد مر على مصعب بن عمير وهو مقتول على طريقه، فوقف عليه، ودعا له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا**﴾ [الأحزاب، آية: ٢٣]. ثم قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أشهد أن هؤلاء شهداء عند الله يوم القيامة، فأتوهم وزوروهم، والذي نفسي بيده لايسلم عليهم أحد إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه**» [5].

ثم جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه بعد دفن الشهداء وجعلهم صفّا وأثنى على ربه ودعاه أن يمنحهم نعيم الدنيا وحسن ثواب الآخرة وأن يقتل الكفرة المكذبين، فقد روي الإمام أحمد: لما كان يوم أحد وانكفأ المشركون، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**استووا حتى أثني على ربي عز وجل**»، فصاروا خلفه صفوفاً، فقال: «**اللهم لك الحمد كله، اللهم لا قابض لما بسطت، ولا باسط لما قبضت، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، ولا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت، ولا مقرب لما باعدت، ولا مبعد لما قربت. اللهم ابسط علينا من**

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ٤/ ١٠٨، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، ٢/ ٧٢.

(٢) الأذخر: نوع من العشب.

(٣) البخاري في الجنائز رقم ١٢٨٦.

(٤) البخاري في الجنائز رقم ١٢٧٤، ١٢٧٥.

(٥) المستدرك، ٣/ ٢٠٠، صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك» .

«اللهم إني أسألك النعيم المقيم، الذي لا يحُول ولا يزول. اللهم إني أسألك العون يوم العيلة، والأمن يوم الخوف. اللهم إني عائذ بك من شر ما أعطيتنا وشر ما منعتنا. اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين. اللهم توفنا مسلمين، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين، غير خزايا ولا مفتونين. اللّهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، واجعل عليهم رجزك وعذابك. اللهم قاتل الكفرة الذين أوتوا الكتاب، إله الحق» [١] .

قتلى الفريقين:

اتفقت جل الروايات على أن قتلي المسلمين كانوا سبعين ، وكانت الأغلبية الساحقة من الأنصار ؛ فقد قتل منهم خمسة وستون رجلاً ، واحد وأربعون من الخزرج ، وأربعة وعشرون من الأوس ، وقتل رجل من اليهود . وأما شهداء المهاجرين فكانوا أربعة فقط .

وأما قتلي المشركين فقد ذكر ابن إسحاق أنهم اثنان وعشرون قتيلاً ، ولكن الإحصاء الدقيق - بعد تعميق النظر في جميع تفاصيل المعركة التي ذكرها أهل المغازي والسير ، والتي تتضمن ذكر قتلي المشركين في مختلف مراحل القتال - يفيد أن عدد قتلي المشركين سبعة وثلاثون ، لا اثنان وعشرون ، والله أعلم [٢] .

العودة إلى المدينة:

ولما فرغ رسول الله من دفن الشهداء والثناء على الله والتضرع إليه ، انصرف راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حمنة بنت جحش كما ذكر لي فلما لقيت الناس نعى إليها أخوها عبد الله بن جحش فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ثم نعي لها زوجها مصعب بن عمير فصاحت وولولت فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**إن زوج المرأة منها لبمكان**» لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها وصياحها على زوجها [٣] .

---

(١) أحمد ، المسند ، ٣/ ٤٢٤ ، الحاكم ، المستدرك ، ٣/ ٢٣ .

(٢) الصالحي ، سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد ، ٤/ ٢٢٩ ، مغازي الواقدي ، ١/ ٣١٤ - ٣١٦ .

(٣) سيرة ابن هشام ج ٣ / ١٠٤ ، البداية والنهاية ، ٤/ ٥٣ .

ومر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في انصرافه بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأحد، فلما نعوا لها قالت: فما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ خيراً يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه، حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل[1]، تريد صغيرة[2].

وخرجت أم سعد بن معاذ تعدو نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف على فرسه، وسعد بن معاذ آخذ بعنان فرسه، فقال سعد: يارسول الله، أمّي فقال رسول الله: «**مرحباً بها**»، فدنت حتى تأمّلت رسول الله فقالت: أما إذا رأيتك سالماً، فقد أشوَت[3] المصيبة، فعزّاها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعمرو بن معاذ ابنها، ثم قال: «**يا أم سعد، أبشري وبشّري أهليهم أنَّ قتلاهم قد ترافقوا في الجنة جميعاً - وهم اثنا عشر رجلاً - وقد شفّعوا في أهليهم**». قالت: رضينا يارسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا؟ ثم قالت: ادع يارسول الله لمن خُلّفوا. فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم أذهب حُزن قلوبهم واجْبُر مصيبتهم، وأحسن الخَلَف على من خُلّفوا**»[4]، ثم قال: «**خل يا أبا عمرو - يعني سعد بن معاذ - الدابة**»، فخلى سعد الفرس، فتبعه الناس، فقال: «**أبا عمرو إن الجراح في أهل دارك فاشية، وليس منهم مجروح إلا يأتي يوم القيامة جرحه كأغزر ما كان، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فمن كان مجروحا فليقر في داره وليداو جرحه، ولا يبلغ معي بيتي، عزيمة مني**».

فنادى فيهم سعد: عزيمة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يتبع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جريح من بني عبد الاشهل، فتخلف كل مجروح، فباتوا يوقدون النيران، ويداوون الجرحى، ومضى سعد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى جاء بيته، فما نزل نبي الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن فرسه إلا حملا، واتكأ على سعد بن عبادة وسعد بن معاذ، حتى دخل بيته، فلما انتهى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة، فقال: «**اغسلي عن هذا دمه، فوالله لقد صدقني اليوم**»، وناولها علي بن أبي طالب سيفه، فقال: «**وهذا، فاغسلي عنه دمه، فوالله**

---

(١) الجلل يكون من القليل والكثير وهو ههنا القليل.
(٢) سيرة ابن هشام ج ٣ / ١٠٤، البداية والنهاية، ٤/ ٥٣.
(٣) أشوَت: صارت صغيرة خفيفة.
(٤) مغازي الواقدي، ١/ ٣١٥ - ٣١٦.

لقد صدقني اليوم»، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة»**.

وكانت عودة الحبيب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجيش إلي المدينة مساء يوم السبت السابع من شهر شوال سنة ٣هـ - إلى المدينة [١].

وبات المسلمون في المدينة - ليلة الأحد الثامن من شهر شوال سنة ٣ هـ بعد الرجوع من معركة أحد - وهم في حالة الطوارئ، باتوا - وقد أنهكهم التعب، ونال منهم أي منال - يحرسون أنقاب المدينة ومداخلها، ويحرسون قائدهم الأعلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاصة؛ إذ كانت تتلاحقهم الشبهات من كل جانب [٢].

القرآن يتحدث عن الغزوة:

ولقد نزلت في موضوع غزوة أحد ومعركتها ثمان وخمسون آية من سورة آل عمران تبدأ بذكر المراحل الأولى للمعركة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١].

ونزلت آيات القرآن تمسح جراحات المسلمين وآلامهم وتعطيهم جرعات كبيرة من التربية الإيمانية، وهي تسجل مشاهد متعددة من هذه الغزوة والدرس، منها قوله تعالى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ومنها: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

ومنها قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٤٣].

---

(١) الصالحي، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ٤/ ٧٥، الرحيق المختوم، ص ٢٥٨.

(٢) مغازي الواقدي، ١/ ٣٣٥ - ٣٣٦، الرحيق المختوم، ص ٢٥٨.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَاباً مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

وتقدم في النهاية تعليقا جامعا على نتائج المعركة والحكمة التي أرادها الله من جرّائها، في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

غزوة حمراء الأسد:

وواجه المسلمون عند عودتهم إلى المدينة اليهود الشامتين، والمنافقين المرجفين، وكانوا يواجهون في أطرافها الأعراب المشركين الذين تطلعوا بشراهة إلى ثمار المدينة وخيراتها، كما كان هناك احتمال أن المشركين قد يفكروا في أنهم لم يستفيدوا شيئاً من النصر والغلبة التي كسبوها في ساحة القتال، فلا بد من أن يندموا على ذلك، ويرجعوا من الطريق لغزو المدينة مرة ثانية، وهو ما حدث بالفعل، إذ كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتابع أخبار المشركين بواسطة بعض أتباعه حتى بعد رجوعهم إلى مكة وبلغه مقالة أبي سفيان يلوم فيها جنده لكونهم لم يشفوا غليلهم من محمد وجنده، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما انصرف أبو سفيان والمشركون من أحد وبلغوا الرّوحاء[1]، قال أبو سفيان: لامحمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم شر ماصنعتم، فبلغ ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2].

وقال الواقدي باتت وجوه الأنصار على بابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلما طلع الفجر وأذن بلال بالصلاة جاء عبد الله بن عمرو المزني فأخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه أقبل من عند أهله بملل[3] إذا قريش قد نزلوا فسمعهم يقولون ما صنعتم شيئا.

---

(١) الروّحاء: تبعد عن المدينة ٧٣ كيلومتراً في طريق مكة.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي (٦/ ١٢١) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجوّاز.

(٣) اسم موضع قرب المدينة.

أصبتم شوكة القوم وحدهم ثم تركتموهم ولم تبيدوهم . قد بقي منهم رؤوس يجمعون لكم فارجعوا نستأصل من بقي وصفوان بن أمية يأبى ذلك عليهم ويقول لا تفعلوا فإن القوم قد غضبوا وأخاف أن يجتمع عليكم من تخلف من الخزرج . فارجعوا والدولة لكم فإني لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم . فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأرشدهم صفوان وما كان برشيد . والذي نفسي بيده لقد سومت لهم الحجارة ولو رجعوا لكانوا كالأمس الذاهب [١] .

فلما صلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصبح ندب الناس وأذن مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخروج أي أمر بلالا أن ينادي أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمركم بطلب العدو وأن لا يخرج معنا أحد إلا من خرج معنا أمس يعني من شهد أحدا [٢] .

قال ابن إسحاق: كان أحد يوم السبت للنصف من شوال فلما كان الغد يوم الأحد سادس عشر من شوال: أذّن مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس بطلب العدو وأن لايخرج معنا إلا من حضر بالأمس ، فاستأذنه جابر بن عبدالله في الخروج معه فأذن له ، وإنما خرج مرهباً للعدو ، وليظنوا أن الذي أصابهم لم يوهنهم عن طلب عدوهم [٣] ، وقد استجاب أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لنداء الجهاد حتى الذين أصيبوا بالجروح ، فهذا رجل من بني عبدالأشهل يقول: شهدت أحداً أنا وأخ لي فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ والله مالنا من دابة نركبها ومامنا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكنت أيسر جرحاً منه ، فكان اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة (نوبة) حتى انتهينا إلى ماانتهى إليه المسلمون [٤] .

وسار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى حمراء الأسد واقترب بجنوده من جيش المشركين ، فأقام فيه ثلاثة أيام يتحدى المشركين ، فلم يتشجعوا على لقائه ونزاله ، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أمر بإشعال النيران فكانوا يشعلون في وقت

(١) مغازي الواقدي ، ١/ ٣٣٥ - ٣٣٦ .
(٢) البخاري ، الصحيح ، الحديث ٤٠٧٧ ، مسلم ، الصحيح ، حديث ٢٤١٨ .
(٣) البداية والنهاية ، ٤/ ٥٠ .
(٤) البداية والنهاية ، ٤/ ٥٠ .

واحد خمسمائة نار[1].

وأقبل معبد بن أبي معبد الخزاعي إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأسلم، فأمره أن يلحق بأبي سفيان، فيخذّله، فلحقه بالروحاء ولم يعلم بإسلامه، فقال ماوراءك يامعبد؟ فقال: محمد وأصحابه، فقد تحرقوا عليكم، وخرجوا في جمع لم يخرجوا في مثله، وقد ندم من كان تخلف عنهم من أصحابهم، فقال: ماتقول؟ فقال: ماأرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة[2]، فقال أبو سفيان والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم، قال معبد: فإني أنهاك عن ذلك، ووالله لقد حملني مارأيت على أن قلت فيه أبياتاً من شعر:

قال وماقلت؟ قال قلت:

كادت تُهدُّ من الأصوات راحلتي ::: إذ سالت الأرض بالجرد[3] الأبابيل
من جيشِ أحمدَ لا وخشٌ[8] قنابله ::: عند اللقاء ولاميل[4] معازيل[5]
إني نذيرٌ لأهل البَسْل ضاحية ::: لّما سموا برئيس غير مخذول
فقلتُ: ويلَ ابنِ حرب من لقائكم ::: إذا تغطمطت البطحاء بالجيل[6]
فظلت عدْواً أظن الأرض مائلة ::: لكل ذي أُربَة منهم ومعقول
تُردِي[9] بأسد كرام لاتنابلة[10] ::: وليس يوصف ماأنذرت بالقيل[7]

فثنى ذلك أبو سفيان ومن معه، وحاول أبو سفيان أن يغطي انسحابه هذا بشن حرب نفسية على المسلمين، لعله يرهبهم فأرسل مع ركب عبدالقيس وكانوا يريدون المدينة للميرة رسالة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفادها أن أبا سفيان وجيشه قد أجمعوا على السير إليه وإلى أصحابه ليستأصلهم من الوجود وواعد أبو سفيان الركب أن يعطيهم زبيباً عندما يأتوه في سوق عكاظ، ومر الركب برسول

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٢/ ٤٣.
(٢) زاد المعاد، ٣/ ٢٤٥.
(٣) الجرد: جمع أجرد وهو الفرسي قصير الشعر، والأبابيل: الفرق الكثيرة.
(٤) الميل: جمع أميل، وهو الجبان.
(٥) معازيل: جمع معزال وهو من لا رُمح معه.
(٦) تغطمطت: اضطربت وثارت.
(٧) البداية والنهاية، ٤/ ٥١.
(٨) وخش: رديء.
(٩) تردى: تسرع.
(١٠) تنابلة: جمع تنبال وهو القصير.

الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو بحمراء الأسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان، فقال هو والمسلمون: ﴿حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣]، وأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللهِ واللهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ * إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥].

أقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حمراء الأسد ثلاثة أيام واستمر المسلمون في معسكرهم وآثرت قريش السلامة والأوبة، فرجعوا إلى مكة، وبعد ذلك عاد المسلمون إلى المدينة بروح قوية متوثبة، غسلت عار الهزيمة، ومسحت مغبة الفشل، فدخلوها أعزة رفيعي الجانب، عبثوا بانتصار المشركين، وهزوا أعصابهم، وأحبطوا شماتة المنافقين واليهود في المدينة [١]

ووقع في أسر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل رجوعه إلى المدينة أبو عزة الجمحي الشاعر الذي كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد منّ عليه فأطلقه من أسره ببدر دون فداء واشترط عليه بألّا يحارب المسلمين، وقد حاول الاعتذار، وقال يارسول الله أقلني، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لاوالله، لاتمسح عارضك**[٢] **بمكة بعدها وتقول خدعت محمداً مرتين، اضرب عنقه يازبير**» [٣]، فضرب عنقه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حينئذ: «**لايلدغ المؤمن من جحر مرتين**» [٤]. فصار هذا الحديث مثلاً ولم يسمع قبل ذلك.

ويعد هذا العمل من قبيل السياسة الشرعية، لأن هذا الشاعر من المفسدين في الأرض، الداعين إلى الفتنة، ولأن في المنّ عليه تمكيناً له من أن يعود حرباً على المسلمين.

ولم يؤسر من المشركين سوى أبي عزة الجمحي [٥].

ولقد حققت غزوة حمراء الأسد أهدافها المرجّوة فقد أظهرت قدرة المسلمين

---

(١) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٠١.

(٢) عارضيك: هما جانبا الوجه. لسان العرب، ٢/ ٧٤٢.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ٣/ ١١٦.

(٤) البخاري، كتاب الأدب، باب لايلدغ المرء، ٧/ ١٣٤، رقم ٦١٣٣.

(٥) البخاري، الصحيح، فتح الباري، حديث ٦١٣٣، ابن هشام - السيرة ٣/ ١١٦ بلاغا عن ابن المسيّب، البداية والنهاية، ٤/ ٥٣.

- وهم في أحلك الظروف - على التصدي لخصومهم . كما أنها بيّنت أنهم إذا كانوا قادرين على متابعة التحرك العسكري خارج المدينة بقسم من قواتهم فإنهم لا شك أقدر على مواجهة أعدائهم داخل المدينة من اليهود والمنافقين وبقايا المشركين .

الفوائد والدروس والعبر من غزوة أحد :

عدد ابن القيم الدروس والعبر من غزوة أحد ومنها:

١ - تعريفهم سوء عاقبة المعصية .

فمنها: تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران ١٥٢] . فلما ذاقوا عاقبة معصيتهم للرسول وتنازعهم وفشلهم كانوا بعد ذلك أشد حذرا ويقظة وتحرزا من أسباب الخذلان .

٢ - وتلك الأيام نداولها بين الناس .

ومنها: أن حكمة الله وسنته في رسله وأتباعهم جرت بأن يدالوا مرة ويدال عليهم أخرى لكن تكون لهم العاقبة فإنهم لو انتصروا دائما دخل معهم المؤمنون وغيرهم ولم يتميز الصادق من غيره ولو انتصر عليهم دائما لما جمع لهم بين الأمرين ليتميز من يتبعهم ويطيعهم للحق وما جاءوا به ممن يتبعهم على الظهور والغلبة خاصة .

٣ - الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

ومنها: أن هذا من أعلام الرسل كما قال هرقل لأبي سفيان هل قاتلتموه؟ قال نعم قال كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال سجال يدال علينا المرة وندال عليه الأخرى قال كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة .

٤ - تميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب .

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يوم بدر وطار لهم الصيت دخل معهم في الإسلام ظاهرا من ليس معهم فيه باطنا فاقتضت حكمة الله عز وجل أن سبب لعباده محنة ميزت بين المؤمن والمنافق فأطلع المنافقون رءوسهم في هذه الغزوة وتكلموا بما كانوا يكتمونه

وظهرت مخبآتهم وعاد تلويحهم تصريحا وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقساما ظاهرا وعرف المؤمنون أن لهم عدوا في نفس دورهم وهم معهم لا يفارقونهم فاستعدوا لهم وتحرزوا منهم. قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩] أي ما كان الله ليذركم على ما أنتم عليه من التباس المؤمنين بالمنافقين حتى يميز أهل الإيمان من أهل النفاق كما ميزهم بالمحنة يوم أحد: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ الذي يميز به بين هؤلاء وهؤلاء فإنهم متميزون في غيبه وعلمه وهو سبحانه يريد أن يميزهم تمييزا مشهودا فيقع معلومه الذي هو غيب شهادة. وقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ استدراك لما نفاه من اطلاع خلقه على الغيب سوى الرسل فإنه يطلعهم على ما يشاء من غيبه كما قال: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً * إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٧] فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه.

٥ - استخراج عبودية أوليائه في السراء والضراء.

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء وفيما يحبون وما يكرهون وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقا وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية.

٦ - حكمة تبدل الأحوال.

ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائما وأظفرهم بعدوهم في كل موطن وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدا لطغت نفوسهم وشمخت وارتفعت فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق فلا يصلح عباده إلا السراء والضراء والشدة والرخاء والقبض والبسط فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته إنه بهم خبير بصير.

٧ - الخضوع لجبروته - تعالى -.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكسرة والهزيمة ذلوا وانكسروا وخضعوا فاستوجبوا منه العز والنصر فإن خلعة النصر إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً﴾ [التوبة: ٢٥] فهو - سبحانه - إذا

أراد أن يعز عبده ويجبره وينصره كسره أولا ويكون جبره له ونصره على مقدار ذله وانكساره .

٨ - رفع منازلهم .

ومنها: أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها .

٩ - تحريضهم على الجد في العبودية لله .

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانا وركونا إلى العاجلة وذلك مرض يعوقها عن جدها في سيرها إلى الله والدار الآخرة فإذا أراد بها ربها ومالكها وراحمها كرامته قيض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواء لذلك المرض العائق عن السير الحثيث إليه فيكون ذلك البلاء والمحنة تركه لغلبته الأدواء حتى يكون فيها هلاكه . ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء تراق دماؤهم في محبته ومرضاته ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو .

١٠ - إهلاك الأعداء بعد ازدياد بغيهم .

١١ - بسط الآيات ولا تهنوا ولا تحزنوا .

ومنها: أن الله سبحانه إذا أراد أن يهلك أعداءه ويمحقهم قيض لهم الأسباب التي يستوجبون بها هلاكهم ومحقهم ومن أعظمها بعد كفرهم بغيهم وطغيانهم ومبالغتهم في أذى أوليائه ومحاربتهم وقتالهم والتسلط عليهم فيتمحص بذلك أولياؤه من ذنوبهم وعيوبهم ويزداد بذلك أعداؤه من أسباب محقهم وهلاكهم وقد ذكر سبحانه وتعالى ذلك في قوله: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠] فجمع لهم في هذا الخطاب بين تشجيعهم وتقوية نفوسهم وإحياء عزائمهم وهممهم وبين حسن التسلية وذكر الحكم الباهرة التي اقتضت إدالة الكفار عليهم فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ

﴿القَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فقد استويتم في القرح والألم وتباينتم في الرجاء والثواب كما قال: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان وأنتم أصبتم في سبيلي وابتغاء مرضاتي.

١٢ - وتلك الأيام نداولها بين الناس.

ثم أخبر أنه يداول أيام هذه الحياة الدنيا بين الناس وأنها عرض حاضر

١٣ - وليعلم الله الذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي أن يتميز المؤمنون من المنافقين فيعلمهم علم رؤية ومشاهدة بعد أن كانوا معلومين في غيبه وذلك العلم الغيبي لا يترتب عليه ثواب ولا عقاب وإنما يترتب الثواب والعقاب على المعلوم إذا صار مشاهدا واقعا في الحس.

١٤ - حب الله للشهداء.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي اتخاذه سبحانه منهم شهداء فإنه يحب الشهداء من عباده وقد أعد لهم أعلى المنازل وأفضلها وقد اتخذهم لنفسه فلا بد أن ينيلهم درجة الشهادة. وقوله: ﴿واللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠] تنبيه لطيف الموقع جدا على كراهته وبغضه للمنافقين الذين اتخذلوا عن نبيه يوم أحد فلم يشهدوه ولم يتخذ منهم شهداء لأنه لم يحبهم فأركسهم وردهم ليحرمهم ما خص به المؤمنين في ذلك اليوم وما أعطاه من استشهد منهم فثبط هؤلاء الظالمين عن الأسباب التي وفق لها أولياءه وحزبه.

١٥ - وليمحص الله الذين آمنوا.

ثم ذكر حكمة أخرى فيما أصابهم ذلك اليوم وهو تمحيص الذين آمنوا وهو تنقيتهم وتخليصهم من الذنوب ومن آفات النفوس وأيضا فإنه خلصهم ومحصهم من المنافقين فتميزوا منهم فحصل لهم تمحيصان تمحيص من نفوسهم وتمحيص ممن كان يظهر أنه منهم وهو عدوهم.

١٦ - ﴿وَيَمْحَقَ الكَافِرِينَ﴾.

١٧ - ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَـمَّا...﴾.

١٨ - ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ...﴾.

ثم ذكر حكمة أخرى وهي محق الكافرين بطغيانهم وبغيهم وعدوانهم ثم

أنكر عليهم حسبانهم وظنهم أن يدخلوا الجنة بدون الجهاد في سبيله والصبر على أذى أعدائه وإن هذا ممتنع بحيث ينكر على من ظنه وحسبه . فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴾ [آل عمران ١٤٢] أي ولما يقع ذلك منكم فيعلمه فإنه لو وقع لعلمه فجازاكم عليه بالجنة فيكون الجزاء على الواقع المعلوم لا على مجرد العلم فإن الله لا يجزي العبد على مجرد علمه فيه دون أن يقع معلومه ثم وبخهم على هزيمتهم من أمر كانوا يتمنونه ويودون لقاءه فقال: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٤٣] . قال ابن عباس: ولما أخبرهم الله تعالى على لسان نبيه بما فعل بشهداء بدر من الكرامة رغبوا في الشهادة فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون إخوانهم فأراهم الله ذلك يوم أحد وسببه لهم فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ .

١٩ - ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ ﴾ .

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ ﴾ .

ومنها: أن وقعة أحد كانت مقدمة وإرهاصا بين يدي موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فثبتهم ووبخهم على انقلابهم على أعقابهم إن مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو قتل بل الواجب له عليهم أن يثبتوا على دينه وتوحيده ويموتوا عليه أو يقتلوا فإنهم إنما يعبدون رب محمد وهو حي لا يموت فلو مات محمد أو قتل لا ينبغي لهم أن يصرفهم ذلك عن دينه وما جاء به فكل نفس ذائقة الموت وما بعث محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخلد لا هو ولا هم بل ليموتوا على الإسلام والتوحيد فإن الموت لا بد منه سواء مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو بقي ولهذا وبخهم على رجوع من رجع منهم عن دينه لما صرخ الشيطان إن محمدا قد قتل فقال: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤] والشاكرون هم الذين عرفوا قدر النعمة فثبتوا عليها حتى ماتوا أو قتلوا فظهر أثر هذا العتاب وحكم هذا الخطاب يوم مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وارتد من ارتد على عقبيه وثبت الشاكرون على دينهم فنصرهم الله وأعزهم وظفرهم بأعدائهم وجعل العاقبة لهم ثم أخبر سبحانه أنه جعل لكل نفس أجلا لا بد أن

تستوفيه ثم تلحق به فيرد الناس كلهم حوض المنايا موردا واحدا وإن تنوعت أسبابه ويصدرون عن موقف القيامة مصادر شتى فريق في الجنة وفريق في السعير ثم أخبر سبحانه أن جماعة كثيرة من أنبيائه قتلوا وقتل معهم أتباع لهم وهن من بقي منهم لما أصابهم في سبيله وما ضعفوا وما استكانوا وما وهنوا عند القتل ولا ضعفوا ولا استكانوا بل تلقوا الشهادة بالقوة والعزيمة والإقدام فلم يستشهدوا مدبرين مستكينين أذلة بل استشهدوا أعزة كراما مقبلين غير مدبرين والصحيح أن الآية تتناول الفريقين كليهما . ثم أخبر سبحانه عما استنصرت به الأنبياء وأممهم على قومهم من اعترافهم وتوبتهم واستغفارهم وسؤالهم ربهم أن يثبت أقدامهم وأن ينصرهم على أعدائهم فقال: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧] لما علم القوم أن العدو إنما يدال عليهم بذنوبهم وأن الشيطان إنما يستزلهم ويهزمهم بها وأنها نوعان تقصير في حق أو تجاوز لحد وأن النصرة منوطة بالطاعة قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا ثم علموا أن ربهم تبارك وتعالى إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يقدروا هم على تثبيت أقدام أنفسهم ونصرها على أعدائهم فسألوه ما يعلمون أنه بيده دونهم وأنه إن لم يثبت أقدامهم وينصرهم لم يثبتوا ولم ينتصروا فوفوا المقامين حقهما: مقام المقتضي وهو التوحيد والالتجاء إليه سبحانه ومقام إزالة المانع من النصرة وهو الذنوب والإسراف ثم حذرهم سبحانه من طاعة عدوهم وأخبر أنهم إن أطاعوهم خسروا الدنيا والآخرة وفي ذلك تعريض بالمنافقين الذين أطاعوا المشركين لما انتصروا وظفروا يوم أحد . ثم أخبر سبحانه أنه مولى المؤمنين وهو خير الناصرين فمن والاه فهو المنصور .

٢٠ - وليبتلي الله ما في صدوركم .

ثم أخبر سبحانه عن حكمة أخرى في هذا التقدير هي ابتلاء ما في صدورهم وهو اختبار ما فيها من الإيمان والنفاق فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيمانا وتسليما والمنافق ومن في قلبه مرض لا بد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه .

٢١ - وليمحص ما في قلوبكم .

ثم ذكر حكمة أخرى: وهو تمحيص ما في قلوب المؤمنين وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه فإن القلوب يخالطها بغلبات الطبائع؟ وميل النفوس وحكم العادة وتزيين الشيطان واستيلاء الغفلة ما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر

والتقوى فلو تركت في عافية دائمة مستمرة لم تتخلص من هذه المخالطة ولم تتمحص منه فاقتضت حكمة العزيز أن قيض لها من المحن والبلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيبه بإزالته وتنقيته من جسده وإلا خيف عليه منه الفساد والهلاك فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة والهزيمة وقتل من قتل منهم تعادل نعمته عليهم بنصرهم وتأييدهم وظفرهم بعدوهم فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا [1].

الشعر في معركة أحد:

وحفلت كتب السيرة بالكثير من الشعر الصحيح والمنحول في تبيان وجهتي النظر المتصارعتين في معركة أحد ومن ذلك قول شاعر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حسّان بن ثابت الأنصاري في التعريض بزعماء قريش في هذه المناسبة [2]:

سقتم كنانة جهلا من سفاهتكم ::: إلى الرّسول فجند الله مخزيها
كم من أسير فككناه بلا ثمن ::: فالنار موعدها والقتل لاقيها
ألا اعتبرتم بخيل الله إذ قتلت ::: أئمّة الكفر غرّتكم طواعيها
جمّعتموها أحابيشا بلا حسب ::: أهل القليب ومن ألقيه فيها
أوردتموها حياض الموت ضاحية ::: وجزّ ناصية كنّا موالّيها

وقال حسان في قصيدة أخري يرد فيها على ابن الزبعري: [3]

أشاقك من أمّ الوليد ربوع ::: بلاقع ما من أهلهنّ جميع
وقتلاكم في النار أفضل رزقهم ::: من الدلو رجّاف السّحاب هموع
فإن جنان الخلد منزلة له ::: رواكد أمثال الحمام كنوع
فلا تذكروا قتلى وحمزة فيهم ::: نوى لمتينات الحبال قطوع
أولئك قوم سادة من فروعكم ::: سفيه فإنّ الحقّ سوف يشيع
يكفّ رسول الله حيث تنصّبت ::: وكان لهم ذكر هناك رفيع
وفوا إذ كفرتم باخسين بربّكم ::: وما كان منهم في اللّقاء جزوع
أمام رسول الله لا يخذلونه ::: لهم ناصر من ربّهم وشفيع
وحامى بنو النّجار فيه وصابروا ::: ولا يستوي عبد وفي ومضيع

(١) زاد المعاد، ٣/ ١٩٧ - ٣ / ٢٠٤.
(٢) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٣٢.
(٣) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٤٢ - ١٤٣.

فقد صابرت فيه بنو الأوس كلهم ::: على القوم مما قد يثرن نقوع
وقل إن يكن يوم بأحد يعدّه ::: وفي كلّ قوم سادة وفروع
فدع ذكر دار بددت بين أهلها ::: قتيل ثوى للّه وهو مطيع
فلم يبق إلّا موقد النّار حوله ::: وأمر الذي يقضي الأمور سريع
عفاهنّ صيفيّ الرّياح وواكف ::: هميم معا في جوفها وضريع

وقال عمرو بن العاص من قصيدة له طويلة [1]:

ينزو شرّها بالرّضف نزوا ::: وتناولت شهباء تلحو الناس بالضرّاء لحوا
سيرا إلى كبش الكتيبة إذ ::: حمّلت أثوابي على عتد يبذّ الخيل رهوا
ففدى لهم أمّي غداة الرّوع ::: وإذا تنزّل ماؤه من عطفه يزداد زهوا
شنح نساه صابط للخيل ::: إرخاء وعدوا
سلس إذا نكّبن في البيداء يعلو الطرف علوا ::: إذ يعشون قطوا
أيقنت أنّ الموت حقّ، والحياة تكون لغوا ::: جلته الشمس جلوا

قال ابن إسحاق: فأجابه كعب بن مالك [2]:

أبلغ قريشا وخير القول أصدقه ::: والصدق عند ذوي الألباب مقبول
إنّا بنو الحرب نمريها وننتجها ::: أهل اللّواء ففيما يكثر القيل
وإن تروا أمرنا في رأيكم سفها ::: فيه مع النّصر ميكال وجبريل
إن تقتلونا فدين الحقّ فطرتنا ::: والقتل في الحقّ عند الله تفضيل
ويوم بدر لقيناكم لنا مدد ::: فرأي من خالف الإسلام تضليل
إن قد قتلنا بقتلانا سراتكم ::: وعندنا لذوي الأضغان تنكيل

وقال حسّان يذكر عدّة أصحاب اللواء يوم أحد:

منع النّوم بالعشاء الهموم ::: وخيال إذا تغور النّجوم
لم تطق حمله العواتق منهم ::: سقم فهو داخل مكتوم
وقريش تفرّ منا لواذا ::: واهن البطش والعظام سئوم
بدم عاتك وكان حفاظا ::: ر عليها لأندبتها الكلوم
وأقاموا حتّى أبيحوا جميعا ::: ها لجين ولؤلؤ منظوم
تسعة تحمل اللواء وطارت ::: غير أن الشباب ليس يدوم

(١) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٤٦ - ١٤٧.
(٢) ابن هشام، السيرة، ٣/ ١٤٧ - ١٤٩.

ولي البأس منكم إذ رحلتم ::: إنّ سبّي من الرّجال الكريم
ما أبالي أنبّ بالحزن تيس ::: أم لحاني بظهر غيب لئيم
لا تسبّني فلست بسبّي ::: أسرة من بني قصي صميم
لم تفتها شمس النهار بشيء ::: في رعاع من القنا مخزوم
شأنها العطر والفراش ويعلو ::: في مقام وكلهم مذموم
لو يدبّ الحوليّ من ولد الذ ::: أن يقيموا إن الكريم كريم
يالقومي هل يقتل المرء مثلي ::: أن يقيموا وخفّ منها الحلوم
من حبيب أضاف قلبك منه ::: إنما يحمل اللواء النّجوم [1]

وقال كعب بن مالك في يوم أحد:

سائل قريشا غداة السّفح من أحد ::: ماذا لقينا وما لاقوا من الهرب
ليسا سواء وشتّى بين أمرهما ::: ما إن نراقب من آل ولا نسب
جالوا وجلنا فما فاءوا وما رجعوا ::: حامي الذمار كريم الجدّ والحسب
بدا لنا فاتّبعناه نصدّقه ::: نور مضيء له فضل على الشّهب
يمضي ويذمرنا من غير معصية ::: فمن يجبه إليه ينج من تبب
نجد المقدّم، ماضي الهمّ معتزم ::: حين القلوب علي رجف من الرّعب
الحق منطقه والعدل سيرته ::: كأنه البدر لم يطبع على الكذب
فينا الرّسول شهاب ثم يتبعه ::: وكذّبوه فكنّا أسعد العرب
فكم تركنا بها من سيّد بطل ::: ونحن نثفنهم لم نأل في الطّلب
كنا الأسود وكانوا النّمر إذ زحفوا ::: حزب الإله وأهل الشّرك والنّصب [2]

* * * * *

(١) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٤٩ - ١٥٠، قال ابن هشام عن هذه القصيدة بأنها أحسن ما قيل.
(٢) ابن هشام، السيرة ٣/ ١٦١، الروض الأنف، ٣/ ٣٥٤.